رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة
وأثرها
في مسلمي شبه القارة الهندية

جلال السعيد الحفناوي
أستاذ اللغات الشرقية المساعد
الجامعة المصرية للثقافة الإسلامية
ألماطي ــ قازاقستان

مقدمة

رحلات الحج إلى مكة المكرمة من الموضوعات التي احتلت مكانا بارزا عند المسلمين و أنتجت الشعوب الإسلامية أدبا وفيرا في هذا الفن بالعربية و الفارسية و التركية و الأردية و غيرها من اللغات الإسلامية ، و قد تفوق المسلمون على غيرهم من الشعوب في هذا الفن الذي نشأ في حضن الحضارة الإسلامية، و صار يعرف بالرحلات الحجازية و سرعان ما اشتد عوده و تكونت ملامحه و تأصلت أصوله و قواعده و ظهر فيه عدد وفير من هذه الرحلات التي يصعب على المرء أن يحصيها عددا لأن أهم بواعث الرحلة و أعظمها شأنا عند المسلمين هي تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام.

وظلت مكة المكرمة هي الملاذ الآمن الشعوب الإسلامية عامة و لمسلمي الهند خاصة و القبلة التي يتجهون إليها كل يوم خمس مرات ، و مكة المكرمة هي محط أنظار الهنود و منتهى آمالهم أن يشدوا الرحال إليها ليعبوا من فيض علمها الوافر حيث كان الحرم المكي ولا يزال جامعة إسلامية مفتوحة لعلماء العالم الإسلامي عامة و لعلماء شبه القارة الهندية خاصة ، و الملاذ الآمن لهم فهاجروا إلي مكة المكرمة و عاشوا فيها مجاورين و ألفوا و أبدعوا بتأثير عبقرية المكان وقد أفادت الهند من هذه المؤلفات في تغيير وجهها الحضاري ، و هذا ما يؤكد على عالمية مكة المكرمة و أنها عاصمة الثقافة الإسلامية في الماضي و الحاضر و المستقبل.

و لقد كانت زيارة الحرم الشريف في مكة المكرمة من العوامل المهمة التي مهدت الطريق لظهور رحلات الحج الهندية في الأدب الأردي في القرنين التاسع عشر و العشرين . و تعددت هذه الرحلات حتى تعدت عدة مئات و قد كتبت باللغتين الفارسية و الأردية ، و قد ظهرت دراسات عديدة في الآداب الإسلامية[1] أكدت على انفراد اللغة الأردية بهذاا لكم الهائل من الرحلات إلى مكة المكرمة و هذه الرحلات تحتاج إلى هيئة علمية كاملة لدراستها و تحليل مضمونها.

و قد كتب الرحالة الهنود رحلاتهم باللغة الأردية و عبروا فيها عن مشاعرهم الجارفة نحو هذه البقاع المقدسة، و اهتموا بذكر التفاصيل الدقيقة عن تاريخ مكة المكرمة، و كذلك العادات و التقاليد و المناسك و الطرق و الجغرافيا و التركيبة السكانية، و كذلك الجوانب السياسية و الاجتماعية و الروحية، و صوروا حلقات الدرس في الحرمين الشريفين و المهاجرين و المجاورين من العلماء من شتي بقاع العالم الإسلامي بشكل عام و علماء الهند بشكل خاص، و نتيجة لذلك ظهر في الأدب الأردي فرع أدبي خاص بالرحلة إلى الحرمين الشريفين يسمي "أدب الرحلات الحجازية".

و لقد استمدت الحركات التحررية و النهضة العلمية و البعث الإسلامي في الهند العون من العلماء الذين كانوا يعيشون في مكة المكرمة، و كان لهم هدفان ، هدف ديني يتعلق بتعلم العلوم الشرعية، و هدف تحرري هو استنهاض الهمم لطرد المستعمر الإنجليزي.

و يمكن القول بأن كثيراً من حركات الإصلاح الديني التي قامت في شبه القارة الهندية كانت متأثرة بما يدور في مكة المكرمة التي ضمت بين أكتافها جماعة كبيرة من العلماء الذين كانوا يتعلمون العلوم الشرعية و الفقهية في الحرم المكي لنيل الإجازة في العلوم الدينية من علماء مكة التي هي منتهى أمل جميع علماء الهند الذين سعوا حثيثاً للحصول عليها كي تصبح لهم مكانة مرموقة و بارزة بين أقرانهم من العلماء في الهند بعد عودتهم إليها، و لم يكن يعترف في الهند بعالم في الحديث أو في تفسير القرآن و الفقه ما لم يكن قد قرأ على أحد علماء مكة و أخذ منهم الإجازة بذلك.

و تعتبر كتابات الرحالة الهنود عن مكة المكرمة مصدراً مهماً من المصادر التاريخية ، و مادة علمية رصينة يمكن أن تساعدنا في التعرف على كثير من الجوانب المهمة في تاريخ مكة المكرمة و تأثيرها في مسلمي شبه القارة الهندية لأن هذه المنطقة الحيوية من العالم تمثل نقطة جذب مهمة للآسيويين بصفة عامة ولمسلمي شبه القارة الهندية بصفة خاصة.

و سوف أتناول في بحثي هذا رحلات الحج الهندية التي قام بها رحالة مسلمون من الهند و باكستان متتبعاً هذه الرحلات من الناحية التاريخية منذ البدايات الأولى لهذا الفن و حتى العصر الحديث و مقدماً لنماذج من الرحلات القديمة و الحديثة و سوف أسبق ذلك بمقدمة و تمهيد أتناول فيه مفهوم الرحلة و دواعيها و المعني اللغوي لها في التراث الإسلامي و الأسباب التي حدت بالرحالة الهنود للقيام برحلات الحج طلباً لأداء الفريضة، و طلب العلم، و الهجرة إلى الله و المجاورة و طلب الإجازات العلمية و التي تعد أرفع الإجازات شأناً لدي مسلمي شبه القارة الهندية. و سأركز في بحثي على وصف الرحلة و دقة المعلومات التي ذكرها أدباء الأردية و مساجلات العلماء ، و الوصف الدقيق لمكة المكرمة و أثر هذه الرحلات في مسلمي شبه القارة الهندية، و مكة المكرمة في وجدان مسلمي شبه القارة الهندية، و أذكر في نهاية البحث خاتمة بالنتائج و أهم رحلات الحج الهندية التي يوصي البحث بترجمتها إلى اللغة العربية و تحليل مضمونها و التي تعد وثائق تاريخية و اجتماعية مهمة لدراسة الأوضاع السياسية و الثقافية و العلمية لمكة المكرمة خلال القرنين التاسع عشر و العشرين. و يتكون البحث من ثلاثة مباحث هي :

المبحث الأول : رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة :

(أ) التطور التاريخي لرحلات الحج الهندية ، (ب) الاتجاهات الفكرية.

المبحث الثاني : نماذج من رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة.

(أ) الرحلات القديمة. (ب) الرحلات الحديثة. (ج) الرحلات النسائية.

(د) الرحلات الشعرية. (هـ) الرحلات الخيالية. (و) رحلات الحج للأطفال.

المبحث الثالث : أثر رحلات الحج الهندية في مسلمي شبه القارة الهندية.

(أ) مكة المكرمة في وجدان مسلمي شبه القارة الهندية.

(ب) أثر رحلات الحج الهندية في العلماء و حركات الإصلاح و التحرير الهندية.

و أختم البحث بالنتائج التي توصل إليها البحث.

الرحلة في التراث العربي الإسلامي

تمهيد

السفر كلمة عربية معناها في المعاجم السياحة و الترحال و الرحيل. و الرحلة لغوياً من يرحل رحــلاً و رحــيلاً و ترحالاً. و رحّله من بلده أخرجه منها. و ارتحل القوم انتقلوا و الراحلة الناقة الصالحة لأن تركب. و الرحــل أيضــاً مــا يستصحبه المسافرون من الأوعية و جمعه رحال. و الرحلة الجهة التي يقصدها المسافر، يقال مكة رحلتنا، و هو عالم رحلة أي يرحل إليه.٢

و للسفر و الرحلة أهمية كبيرة لدي المسلمين من الناحية الدينية، فبعد أن خرج سيدنا آدم عليه السلام من الجنة و نزل على الأرض كان سفره هذا أول خطوة نحو تطور الجنس البشري و قد ورد في القرآن قوله تعالي (سيروا في الأرض) و على هذا فالسفر في الأرض يقوم به الإنسان تنفيذاً للأمر الإلهي، و السفر وسيلة للظفر، و يوجد في القرآن نماذج عديــدة لرحلات و سفر الأنبياء الكرام مثل سيدنا نوح و موسى و يوسف عليهم السلام، و سيدنا إبراهيم الذي اختار السفر البري في الصحراء، و بني بيتاً لله و الذي صار في النهاية مركزاً للرشد و الهداية و صار هذا المكان المقدس أهم سفر روحاني يقوم به الإنسان حتى الآن و منذ مئات السنين، تعتبر هجرة الرسول صلى الله عليه – من مكة إلى المدينة نوعاً مــن الســفر و الرحلة.٣ و أن الإسلام انتشر بسبب هجرة المسلمين في سائر أرجاء الأرض .

و من العوامل الدينية التي ساعدت على الارتحال في فجر الإسلام، هو جمع الحديث من أفواه الــرواة و طبيعــي أن تكون الرحلة من أهم الوسائل لطلب العلم في أوائل العصر الإسلامي، فقد كانت الكتب نادرة، و كانت الدراسة العلميــة تقوم مقام المراجع و المؤلفات اليوم و فضلاً عن ذلك فقد تعددت مراكز الثقافة في ديار الإسلام فكان رجال العلم ينتقلون من إقليم إلى آخر يدرسون على مشاهير الأساتذة و يلتقون بأعلام الفقهاء و المحدثين و اللغويين و كذا الأطباء و الفلاسفة.٤

والحج من أهم بواعث الرحلة و أعظمها شاناً عند المسلمين – إلى جانب السعي في طلب العلم و الاســتفادة مــن العلماء والحج كان من أهم العوامل التي دفعت بالمسلمين من كل فج عميق و على كل ضامر إلى الرحلــة و الانتقــال ، فالحج كان من أهم ولا يزال، رحلة يتشوق إلى أدائها كافة الناس و ليس علماؤهم أو فقهاؤهم فقط، و نتيجة ذلك فقــد اكتسبت رحلة الحج صفة تراثية شعبية و تحكي لنا كتب التاريخ و مذكرات الرحالة أنفسهم أن العديــد مــن الحكــام و السلاطين قد أقاموا على الطريق الكثير من المنشآت لخدمة الحجاج و عهدوا إلى الجنود تأمين طرق الحج و حماية سالكيه.٥

و رحلات الحج من الفنون الأدبية القديمة في الآداب الإسلامية و لا يخلو منها أدب إسلامي، و إن كانت أعــدادها تتفاوت من أدب أمة إسلامية إلى أخرى، و من أقدم الرحلات العربية التي ورد فيها بيان الحج رحلة أبي عبد الله المقدســي "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" و رحلة أبي القاسم البغدادي "المسالك و الممالك ". و تعد رحلة حكيم ناصر خسرو هي بداية رحلات الحج في اللغة الفارسية حيث سافر ناصر خسرو للحج عام ٤٣٧ هــ/ ١٠٤٥ م و قضي نحو ثمانية أعوام في رحلته أدي فيها فريضة الحج وطاف بلاد العالم الإسلامي فزار مصر و القدس و الشام و تعد رحلته زاد المسافرين" مــرآة صادقة لمشاعره عند رؤية مكة المكرمة و بيت المحبوب و هذه الرحلة من أهم رحلات الحج إلى مكــة المكرمــة في الأدب الفارسي.٦

و قد وسع الإسلام آفاق الرحلة و عدد دوافعها و بهذا بلغت ذروتها و ارتفع شأنها و قيمتها خصوصاً خلال فتــرة الفتوحات الإسلامية و ما تلاها من عصرالاستقرار و الازدهار و المعرفة و الحضارة و من نماذج ذلك رحلــة ابــن جــبير

الأندلسي (٥٤٠ – ٦١٤هـ / ١١٤٥–١٢١٧ م) وهي من أقدم رحلات الحج في العربية يقول حافظ محمد فقير : "أرست هذه الرحلة حجر الأساس للأماكن و الأعلام و قد استفاد من تلك المعلومات عن مكة المكرمة و الأماكن المقدسة أكثر المتأخرين". ٧

و من رحلات الحج القديمة في العربية "رحلة ابن بطوطة" (٧٠٣ – ٧٧٩ هـ / ١٣٠٤ – م١٣٧٧) و لها أهمية كبيرة بين الرحلات القديمة ، فابن بطوطة رحالة بالنظرة طاف العالم كله و أمضي ثمانية و عشرين عاماً في الترحال و نال شرف الحج أربع مرات و تحتل تجربة الحج و مشاهدة الأماكن المقدسة في مكة المكرمة و وصفها حيزاً كبيراً في رحلته.٨

و قد نوه المؤرخ الرحالة عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢ – ٨٠٨ هـ / ١٣٣٤ – ١٤٠٦م) بأهمية الرحلات فقال في مقدمته الشهيرة : "و الرحلة لابد منها في طلب العلم و لاكتساب الفوائد و الكمال بلقاء المشايخ و مباشرة الرحال".٩

و لعل أهم أسباب الرحلة و أعظمها شأناً عند المسلمين تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، و زيارة قبر الرسول – صلى الله عليه و سلم – و قد سجل الناهبون من هؤلاء الحجاج مشاهداتهم و ارتساما تهم و أحاسيسهم و كذا الطرق و الدروب التي مروا بها و سلكوها و الأحداث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب الرحلة و ليس من شك في أن مدونات من شاهد الرؤيا أصدق قيلاً و أقوي تأثيراً ممن سمع أو قرأ أو استنبط، و كان الحاج يجني من رحلته إلى الحجاز فضلاً عن تأدية الفريضة، فوائد جمة منها الالتقاء بمعظم علماء وفقهاء العالم الإسلامي، و منها المجاورة ثم التجارة التي يجني من ورائها النفع و الكسب المادي (ليشهدوا منافع لهم). ١٠

و تعتبر رحلة نواب صديق حسن خان القنوجي بعنوان "رحلة الصديق إلى البيت العتيق" التي قام بها سنة ١٢٨٥ هـ/ ١٨٦٨م أول رحلة في الأدب الأردي في رأي بعض النقاد (١١). و المقصود هنا أول رحلة تصدر في كتاب منفصل بهذا الشكل الواضح، و العجيب أن آلاف الحجاج سافروا إلى الأراضي المقدسة من شبه القارة الهندية، و رغم هذا لم توجد رحلة كتبت حتى عام ١٢٨٥ هـ/١٨٦٨م، و ربما كتبت بعض الرحلات و فقدت ! إلا أنه من الواضح أن هذا النمط الأدبي في شبه القارة الهندية بدأ أولاً عبر اللغة الفارسية على يد الشيخ عبد الحق محدث الدهلوي "جذب القلوب إلى ديار المحبوب" عام ٩٩٧هـ/١٥٨٩م، و شاه ولي الله الدهلوي (فيوض الحرمين) ١١٦١هـ / ١٧٤٨م، و شاه رفيع الدين "سوانح الحرمين الشريفين" ١٢٠١ هـ / ١٧٨٩م (١٢).

المبحث الأول : رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة

تمهيد

الحج ركن من الأركان الخمسة في الإسلام، و يعيش كل مسلم طوال حياته يأمل في أداء هذا الركن المبارك ، و عندما يؤدي المسلم هذه الفريضة و يأتي لزيارة مكة المكرمة و المدينة المنورة و هما من المراكز الأولى للدين الإسلامي فإنه يشعر بعلاقة مباشرة بينه و بين الله و رسول الإسلام و بالتالي ترسخ في نفسه رابطة العقيدة و المودة.

فالحج لا يعد مجرد سفر أرضي يطوي فيه الحاج المسافات و البلاد فحسب ، بل إنه سفر مبني على علاقة قلبية عميقة وحب للإسلام و رسول الإسلام، و من ثم يصبح هذا السفر مرآة لواردات الروح علاوة على مشاعر النفس و مشاهدات النظر، و رحلة الحج توقظ في الحاج مشاعر كانت دفينة في قلبه و روحه ففي هذه الرحلة رؤية للديار المقدسة و أرض التمني.

و رحلة الحج مختلفة عن أي رحلات أخرى من حيث الكيف فالحج فريضة دينية و زيارة الحاج لديار المحبوب يتوافر فيها الهدف من أداء الفرض و لهذا السبب يتغلب عنصر الشوق و الرغبة في هذه الرحلة على ما سواها من أمور. يقول جيلان كامران : " رحلات الحج تقوم بشكل أساسي على العشق لبيت الله الحرام و لزيارة قبر الحبيب و لا يمكن لهذه الرحلة أن تبدأ بغير عاطفة الحب فأحاديث الحج عموماً هي أحاديث العشق و الشوق" (١٣). ولهذا السبب فإن الحاج سائح تكحل عيناه بمناظر الحج و مناسكه و التي يراها بعين الشوق و اللهفة ، و في رحلة الحج لا يبحث الحاج عن ارض جديدة بل يري هذه الأرض بعينيه تلك الأرض التي كان يراها بعينه الباطنة من قبل، ففي رحلات الحج لا تذكر بلاد و أمصار جديدة بل إن كل كاتب رحلة يعبر عن مشاهدات موجودة في وجدانه ، و لهذا فإن الأماكن المقدسة تذكر بأعداد لا تحصي في هذه الرحلات و لكل طريقته الفريدة في تقديم صورة هذه الأماكن المقدسة تلك الصورة التي تخيلها لها من قبل، و لهذا تنوعت تلك الصور و ظهرت بمظهر جديد و مختلف في كل مرة تبعاً لاختلاف التجارب الروحانية ، فكل كاتب رحلة لا يقدم الحقائق التي يشاهدها فحسب ، بل يقدم ما تموج به روحه من مشاهد و حقائق و في هذه التجربة تحتل مشاعره أهمية كبيرة فيها.

إن كتابة رحلات الحج أمر موغل في القدم و يمكن القول بأنها بدأت منذ حجة الوداع ، و في بداية الأمر كان الحجيج في الغالب يعبرون عن واردات قلوبهم مشافهة و ظهرت منذ ذلك الوقت علاقة روحانية قوية بينهم و بين هذه الأماكن المقدسة و أخذت هذه الرابطة القلبية تزداد قوة و إحكاماً ، و لأن هذه الأماكن المقدسة في مكة المكرمة و المدينة المنورة تقع على مسافة بعيدة من شبه القارة الهندية و لم تتيسر وسائل السفر المناسبة لها حتى أواخر القرن التاسع عشر لذا فقد حظي عدد قليل من الناس المحظوظين ينيل تلك السعادة بالسفر إلى مكة المكرمة ، و كان نار الشوق تتأجج في قلوب سكان شبه القارة الهندية لزيارة أرض الحجاز، و قد كتبت رحلات الحج الهندية بعد أن حصل أولئك الحجاج على ثمرات السعادة بعد حجهم إلى مكة المكرمة حيث تبدل الهجر بالوصال ، و بدأ حجاج القارة الهندية في كتابة تجاربهم في الحج ليستفيد منها إخوانها الذين سيتوافدون على الحج من بعدهم (١٤).

و تعد رحلات الحج إلى مكة المكرمة فرعاً جديداً من أدب الرحلات ، و قد ظهر في الأدب الأردي فرع أدبي خاص بالرحلة إلى الحرمين الشريفين يسمي "أدب الرحلات الحجازية"، و قد كتبت هذه الرحلات بأعداد هائلة من الصعب على الباحث أن يحصيها عدداً ، وطالما ظلت أفئدة المسلمين تهفوا إلى الأماكن المقدسة فسوف يخرج العديد و العديد من رحلات الحج إلى مكة المكرمة و سوف تستمر أقلام الكتاب في تدوين مشاهداتهم و انطباعاتهم عن هذه البقاع المقدسة إلى أن تقوم الساعة.

ا- التطور التاريخي لرحلات الحج الهندية

١ – رحلات الحج الهندية باللغة الفارسية :

تعد رحلة الشيخ عبد الحق محدث الدهلوي المعروفة باسم "جذب القلوب إلى ديار المحبوب ٩٩٧هـ/١٥٨٩م من أقدم رحلات الحج الهندية التي كتبت باللغة الفارسية في شبه القارة الهندية، و قام محمد شفيع مراد آبادي بترجمتها إلى الأردية بعنوان "ديار حبيب" (١٥).

و كان الشيخ عبد الحق قد حظي بشرف زيارة مكة المكرمة و بيت الله الحرام عام ٩٩٧ هـ / ١٥٨٩م و قد كتبت رحلات الحج الأولى باللغة الفارسية لغة العلم و الأدب آنذاك و لغة الحكام المسلمين في الهند و كان العامة و الخاصة يفهمونها بسهولة و ظلت اللغة الفارسية اللغة الرسمية في الهند إلى أن سيطر الإنجليز على حكم الهند بعد الثورة الهندية ١٨٥٧ م فشجعوا اللغة الأردية و فرضوها على سكان الهند بدلاً من الفارسية و قد ساهموا في تطويرها و تطوير النثر الأردي خاصة عندما أنشئوا كلية فورت وليم في كلكتا سنة ١٨٠٠م.

و من الأمثلة المضيئة لرحلات الحج الهندية القديمة التي كتبت باللغة الفارسية رحلة "فيوض الحرمين" ١١٦١ هـ/١٧٢٨ م و في هذه الرحلة قام شاه ولي الله بتوضيح و شرح المسائل الفقهية و الأحاديث النبوية و الآيات القرآنية المتعلقة بالحج و الأماكن المقدسة في مكة المكرمة و المدينة المنورة بطريقة علمية و ذكر بوضوح أن هدفه لم يكن بيان صعوبات السفر بل أنه اتخذ من رحلته هذه وسيلة الإرشادات النبوية و التبليغ بها، و تعد هذه الرحلة وثيقة تاريخية مهمة لعلماء مكة المكرمة و المدينة المنورة في ذلك العصر.

و رغم تطور النثر الأردي في القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي فقد ظلت رحلات الحج الهندية تكتب باللغة الفارسية و قد قام حاجي رفيع الدين فاروقي المراد آبادي برحلة إلى مكة المكرمة أطلق عليها اسم "سوانح الحرمين الشريفين" ١٢٠١ هـ /١٧٨٩م وتعد من أقدم رحلات الحج الهندية التي كتبت في شبه القارة الهندية باللغة الفارسية بأسلوب أدبي راق، و ترجمها نسيم أحمد فريدي أمروهي إلى اللغة الأردية باسم "سفر نامه حجاز" أي الرحلة الحجازية و نشرت رحلة الحج هذه في مجلة "الفرقان" (١٦) بلكهنو في شهري مايو و يونيه ١٩٦١ م و لم تطبع هذه الرحلة في مكان ما، و توجد نسخة من الرحلة في مكتبة البر و فيسير خليق أحمد نظامي، كما توجد نسخة من هذه الرحلة في مكتبة رام بور و كتب عليها اسم رحلة "آداب الحرمين" و قد ذكرها الأمير صديق حسن خان القنوجي باسم "حالات الحرمين" (١٧).

و قد تلقي حاجي رفيع الدين فاروقي المراد آبادي تعليمه على يد العالم المحدث شاه ولي الدهلوي و نال الإجازة في علوم الحديث من المحدث السورتي مولانا خير الدين و سافر للحج في عام ١٧٨٧ م ليحصل على الإجازة في علم الحديث من علماء مكة المكرمة و عاد عام ١٧٨٩م إلى الهند، و رحلة "سوانح الحرمين" رحلة ذات قيمة من الناحية الحضارية و الجغرافية و التاريخية و يشعر القارئ من خلال الرحلة بالجانب التعبدي و عشق الرسول صلي الله عليه و سلم – و قد ركز الفاروقي بشكل خاص في رحلته على سيرة علماء و أدباء و مشايخ ذلك العهد بشكل مختصر، و سوف أتناول هذه الرحلة بالتفصيل في الصفحات القادمة كنموذج لرحلات الحج الهندية القديمة (١٨).

ثم قام نواب مصطفي خان شيفته بكتابة رحلته إلى مكة المكرمة "ترغيب السالك إلى أحسن الممالك" المعروفة بـــ "راه آورد" باللغة الفارسية و هي جديرة بالثناء من الناحية الأدبية.

فقد كان شيفته شاعراً فحلاً و ناقداً مفلقاً و كان عالماً بأمور الدين و قد توجه للحج في ذي الحج ١٢٥٢ هـــــ / مارس ١٨٣٩ م، و عاد إلى الهند في ذي الحجة ١٢٥٤هـــ/مارس ١٨٤١م و قد تناول شيفته في رحلته الأماكن المقدسة في مكة و المدينة و ذكر علماء مكة المكرمة و المدينة المنورة في ذلك العهد و منهم الشيخ عبد الله سراج، و الشـــيخ عثمـــان الدمياطي ، و أحمد الدمياطي ، و محمد المرزوقي، و الشيخ سيد عبد الله الميرغني، و سيد عثمان الميرغني و غيرهم و ذلـــك على هيئة يوميات ثم نشرها على شكل رحلة متكاملة بعد عودته للهند و تتجلى في هذه الرحلة المظاهر الإيمانية التي عـــبر عنها شيفته بأسلوب رصين سلس و يبدو من النموذج التالي أن شيخ كان يعتبر هذا الحج نعمة إلهيه. يقول : "لا أستطيع أن أعبر عن الحالة الوجدانية التي غمرتني في الحرم المقدس ، و في هذه البقعة المباركة ، و قد استفسرت من أهل العلم عن معني "ما بين قبري و منبري روضة من رياض الجنة " لقد كرم الله تعالى هذا العبد الحقير بهذه النعمة التي سأظل طوال عمـــري أشكره عليها، إن حضوري إلى هنا نعمة منحني الله تعالى إياها، و هي نعمة كبيرة تفوق النعم. و الحمد لله ثم الحمد لله أنـــني وطأت هذه الأرض الطاهرة أرض المدينة المنورة(١٩) و ترجمت هذه الرحلة إلى الأردية بعنوان "ماه مـــنير" أي "القمـــر المنير".

٢ – رحلات الحج الهندية باللغة الأردية :

حتى الآن لم يتم الكشف عن كثير من رحلات الحج الهندية القديمة التي كتبت باللغة الأردية لأن هذا العمل يحتاج إلى فريق عمل ينقب في مكتبات الهند المختلفة، و خاصة مكتبات العلماء التي لم يتم مسحها و تسجيل ما بها من كنوز علمية و أدبية لأنها تحتاج إلى مال و رجال.

و لعل من أسباب تأخر ظهور أول رحلة كتبت بالأردية هو اعتبار اللغة الفارسية لغة الأدب و العلم، و إعطاؤهـــا أهمية تفوق أهمية الأردية و كان عامة الناس و خاصتهم يفهمون اللغة الفارسية بسهولة مما جعلهم يعتبرون كتب الـــرحلات المكتوبة بالفارسية عن الأراضي المقدسة كتباً إرشادية تساعدهم على قضاء مناسك الحج. و ربما كان السبب أيضـــاً عـــدم مقدرة حجاج بيت الله آنذاك على التعبير باللغة الأردية عن أنفسهم و عن مشاعرهم ، و وصف مشـــاهداتهم بالأراضـــي المقدسة، و لهذا جاءت معظم كتب الرحلات الأولى كتباً إرشادية تبين صعوبات السفر و مخـــاطره، و قوافـــل الحجـــيج و تعرضها للنهب و السلب وعدم قدرة الحكومة في تلك الفترة على حفظ النظام و الأمن وانهيار النظام الاقتصادي .

و على الرغم من هذا فقد برع بعض كتاب الرحلة في تصوير مشاعرهم ، و لم يكتفوا فقط يذكر الحدود الجغرافية بل جالوا في التاريخ و عقدوا مقارنات بين الحاضر و الماضي، و حللوا و نقدوا و ركزوا على الاجتماع السياسي و الحالات الثقافية و الحضارية (٢٠).

و حتى العصر المغولي لم تكن هناك رحلات حج بالأردية و كانت أول رحلة فيباللغة الأردية هي (رحلة الصـــديق إلى بيت الله العتيق) و كتبها الأمير صديق حسن خان بهوبالي عام ١٢٦٨ هـــ/١٨٥١م، و تعد هذه الرحلة طبقاً لأبحاث محمد أفضل فقير أول رحلات الحج الهندية باللغة الأردية (٢١)، و مع نهاية القرن التاســـع عشـــر و بدايـــة القـــرن العشـــرين ظهركثيرمن رحلات الحج الهندية باللغة الأردية.

و تعد رحلة (ماه مغرب) أي القمر الغربي المعروفة بـــ(كعبه نما) من رحلات الحج الهندية المبكرة تـــأليف حـــاجي منصب على خان عام ١٢٨٧ هــ/١٨٧١م، و هذه الرحلة جديرة بالتقدير و الاهتمام لتقديمها معلومـــات مهمـــة عـــن صعوبات الرحلة، و مشكلاتها و كيفية حل هذه المشكلات بطريقة بسيطة و سهلة بحيث يمكن للحجاج الهنود بعد قـــراءة الرحلة أن يستفيدوا منها استفادة عظيمة، و مع أن هذه المعلومات سطحيه فهي أساسية و لا غني عنها للحجاج الهنـــدي و ثبت مفيدة لجميع طبقات الحجاج، و مما يؤخذ عليها أن لغتها جافة و علمية و لا تخاطب الجماهير و هذه الرحلة أول رحلة باللغة الأردية تحتوي على معلومات مهمة عن كيفية السفر و العملات المالية المستعملة في كل من الهند و عـــدن و مكـــة المكرمة(٢٢). يقول : "عندما ينوي الحاج من الهند الذهاب للحج عليه أن يأخذ معه النقود التي تكفيه حتى بومباي فقط، و يشتري بالباقي أوراق رسمية و لا يصطحب معه ذهب أو دنانير أشرفية" (٢٣).

ثم تأتي رحلة (زاد غريب) و هي رحلة حج هندية كتبها محمد عمران على خان عام ١٨٨٠ م و قدم فيها معلومات جغرافية و تاريخية مهمة عن الحجاز و مكة المكرمة خاصة، و لأن الرحلة من أوائل رحلات الحج إلى مكة المكرمـــة فقـــد كانت تفتقر إلى التأثير و المشاعر، و قد كتب الرحلة بأسلوب غريب جمع بين الأردية و الفارسية المهجـــورة و أســـرف في استخدام الكلمات و التراكيب الفارسية. يقول عندما وصلت قافلة إلى ميناء رابع : "وصلنا إلى رابغ بعد الصلاة، و رابغ في المترل الرابع، و هذا المترل ثلاثة عشر ساعة، و هو قلعة مبنية على هيئة البرج حيث يقيم فيه جيش السلطان، و في القرية سوق و حدائق النخيل موجودة بكثره" (٢٤).

ثم تأتي رحلة "وكيل الغربا" لوزير حسين بريلوي و هذه الرحلة هي ثمرة تجربة حجه إلى مكة المكرمة عام ١٨٨١م، و كان هدفه من هذه الرحلة شرح مناسك الحج بالتفصيل حتى يستعين بها من يريد الذهاب للحج و اجتهد في تقديم المناسك و قدم خدمات جليلة للحجاج الذين سافروا بعده و تحدث عن مكة المكرمة و تاريخها و علاقة الهنود بها و لهذا فلها أهميـــة تاريخية لأنها من رحلات الحج الهندية الأولى (٢٥).

و كتب سيد كاظم حسين شيفته الكنتوري رحلته "حرمين شريفين" سنة ١٣٠٨هــ/ ١٨٩٦م و التي تعد في عداد رحلات الحج الهندية القديمة و تتناغم في هذه الرحلة مشاعر القلب الصادق مع تقديم مشكلات السفر التي واجهته و أبدي شيفته مشاعر جارفة عند زيارته لمكة المكرمة حيث قدم وصفاً دقيقاً للحرم المكي و أهل مكة، و تعد رحلته صورة صادقة و طبيعية للحياة الاجتماعية و الحضارية في العشر سنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر. يقول عن أهل مكة :" و نساء مكة عامة يخرجن إلى الشارع وهن متبرقعات من رأسهن حتى أقدامهن، و أهل مكة أخلاقهم طيبـــة و حكمـــاء و صـــادقون و متدينون، و يأتي إلى مكة كل يوم آلاف البد و بجمالهم من جميع ضواحي مكة للبيع و الشراء ثم يعودون في الليل" (٢٦).

و في سنة ١٣٠٤ هــ / ١٨٩٢م سافر مرزا عرفان على بيك لأداء فريضة الحج و كتب رحلته "سفرنامه حجاز" حاول أن تكون رحلته صورة صادقة و قدم الأحداث على هيئة يوميات سنة ١٨٩٠ م و قد ركز على تسجيل الأحـــداث اليومية و لغة الرحلة سلسة و بسيطة و قد تحدث عن أحوال أهل مكة و استخدام الجمال في نقل الأمتعة و تحملها للعمل في ظروف جوية حارة و يصف نزول المطر في الحرم يقول : "كنا نجلس في المسجد الحرام منهمكين في الحديث فإذا بالسماء قد تغير لونها و تلبدت بالغيوم و تجمعت السحب و بدأ الرعد و البرق و ظهرت آثار هطول المطر، و تعبق الهواء برائحة المطر المفاجئ الذي تحول إلى سيول فأسرع الناس ناحية "ميزاب الرحمة" و بدأوا في التجمع تحته و انطلقت مـــع الشـــيخ ناحيـــة الحطيم فكنا نعبر بركاً صغيرة مليئة بالماء البارد" (٢٧).

ثم جاءت رحلة "زاد الزائرين " لمرزا قاسم بيك في وقت كانت تواجه الحاج صعوبات كثيرة في السفر و قـد جمـع مؤلف الرحلة معلومات مفيدة عن مكة و الحرمين و أخلاق أهل مكة و أسواق مكة و الأماكن المقدسة الواجب زيارتها و بذلك تيسر لمن جاء بعده الكثير من الأمور الخاصة بالحج لكنه لم يكن لديه مقدرة كاملة على اللغة و لم يكن أسلوبه أدبيا لذا توارت المعلومات التاريخية و الجغرافية أمام نصائحه للزائرين و تحدث بالتفصيل عن المطوفين و نشرت الرحلة سنة ١٩٠١م (٢٨).

و في هذه الفترة كتب مولوي سبحان الله جور كهبوري رحلة "ميرا سفر حج" أي رحلتي للحج و قد خصصت هذه الرحلة لمهنة الطوافة و المطوفين ذكر كل شئ عن هذه الطائفة المؤثرة في الحج و نشرت سنة ١٩٠٣ (٢٩).

و اتسمت رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة في هذه الفترة بالتركيز على وصف مناسك الحج و ذكر المشاعر و الطرق إليها و بيان ذلك من وجهة نظر دينية معتمدين في ذلك على كتب الفقه و الحديث المتداولة في تلك الفترة.

كما اتسعت المساحة الجغرافية التي يتجول فيها الرحالة، و اتسعت المساحة التي يعبر فيها أيضاً عن مشاعره و أحاسيسه مما يعطي الرحلة سمة أدبية واضحة إلى حد ما، بل زادت العواطف أحياناً، و سيطرت على بعض الكتاب الأدباء، و بدأت الرحلات الأردية تتناول موضوعات متنوعة مثل مناقشة الأمور المؤثرة في المنطقة التي يزورها الكاتب ، و إبداء وجهات نظر سياسية ، و مناقشة موضوعات العلاقات بين الدول هذا بالإضافة إلى ظهور الرحلة الرسمية فقد قدم بعض الرحالة ضمن وفود رسمية إلى الجزيرة العربية، و خاصة بعد توحيدها على يد المغفور له الملك عبد العزيز بن سعود.٣٠

و جاءت رحلة "سفر نامه حجاز و مصر" تصويراً لمنطقة الحجاز عام ١٣٢١هـ - ١٩٠٤م، و تنقسم هذه الرحلة إلى خمسة أقسام يحتوي القسم الأول منها على نصائح و إرشادات عامة في السفر، و في القسم الثاني ذكر الأحداث و الصعوبات التي يصادفها الحاج من بومباي إلى السويس، و في القسم الثالث ذكر وقائع الرحلة البحرية من السويس حتى جدة، و خصص الجزء الرابع للحج و مناسكه و الخامس تحدث فيه حياته و قدم صورة واقعية لمنطقة الحجاز في عصره سنة ١٩٠٣ حيث عن الحياة السياسية و أثر ذلك في مكة و المدينة و الحج و علاقة الأتراك بالبدو و شيوخ القوافل و طرقها، و تناول الأحداث بطريقة اليوميات و تعلو فيها نبرة الصدق. ٣١

و يصف حاجي أحمد حسين مكة و الحرم المكي فيذكر أبوابه المختلفة ثم يقول : " و يبلغ عدد خدام الحرم ستمائة و أربعين خادما من بينهم ثلاثمائة موظف ، و هم معينون من قبل السلطان و ثلاثمائة و أربعون يعملون في سبيل الله ، و يرأسهم علي سيد محمد الملقب بشيخ الحرم ، و يتقاضى راتبا شهريا قدره ثلاثون جنيها ، و قيمة الجنية اثنتا عشرة روبية هندية ، و في الحرم واحد و ستون مؤذنا... ومائة و سبعة عشر إماما منهم ستون حنفيا ، و سبعة عشر إماما مالكيا ، و عشرة أئمة من الحنابلة ، و الباقون من الشوافع ، و شيخ الشافعية هو الشيخ محمد سيد ، و شيخ المالكية هو المفتي محمد منصور ، و شيخ الحنابلة هو المفتي شيخ أحمد ، و شيخ الحنفية هو المفتي عبد الله بن صديق ، أما شيخ المؤذنين فهو سيد عبد الله و الشيخ الزرعة إمام حنفي و هو شيخ الخطبة ". ٣٢

و يتناول حاجي أحمد حسين كل ما يتعلق بالحياة في مكة فيقول : " الفاكهة الطازجة كالرمان و التفاح و الخوخ و البطيخ و المشمش و غيرها و هي رخيصة جدا ، و يصل نهر زبيدة الآن إلى كل شارع و إلى كل حارة في مكة المكرمة ، و تتجمع الماء في أماكن ، يحملها السقا لتصل إلى كل حي ، و نتيجة لكثرة الماء فالجو فيه رطوبة ، و المباني

هنا جميلة جدا و تستحق مباني الحكومة ، و القلعة السلطانية ، و قصور الشريف الزيارة و المشاهدة ، و يوجد في مكة موظفون حكوميون من الهند هاجروا و عاشوا هنا و استقروا بمكة حتى اليوم". ٣٣

و تعد رحلة حاجي محمد لطيف مجهلي شهري المعروفة باسم " السفر اللطيف إلى بيت الله الشريف " من رحلات الحج الهندية القديمة حيث نال شرف الحج سنة ١٨٩١ م و نشرت رحلته في مطبعة مجتباى بلكهنو في ١٣٢١ هـ / ١٩٠٤ م ، و لغة هذه الرحلة لغة صوفية قديمة قام محمد يسين شفق بتصحيحها و يمكن الاستفادة منها الآن ، و يتحدث لطيف عن مكة المكرمة و أسواقها و شوارعها فيذكر أنها ظليلة و رطبة و جميع الدكاكين تضاء بالفوانيس ليلا ، و وصف السوق الكبير وصفا دقيقا و ذكر أنه اشترى التنبل من تاجر اسمه محمد حسين . ٣٤

و قام خطيب قادر باد شاه برحلة حج إلى مكة المكرمة عام ١٩٠٦ م و هي " سفر حجاز" دون أحداثها شعرا نثرا و قدم صورة رائعة لمكة و الحج تسحر القلوب و الألباب من جمالها. يقول : " في الوقت الذي وصلنا فيه إلى خيمتنا على جبل الرحمة كانت الشمس قد مالت للغروب و بدأ الحجيج يمتطون الجمال للخروج من عرفات فكانت مئات الآلاف من الجمال تغادر عرفات في وقت واحد ، و كذلك ازدحام المشاة مع أصوات لبيك اللهم لبيك من جانب ، و كان أصحاب الجمال من البدو يصيحون " الطريق الطريق " و أثارت القوافل المصرية و الشامية الغبار في الطريق ، و انطلقت مدافع دار المدفعية الحكومية ، هذا المنظر الساحر لا يستمتع به إلا الشخص الذي رآه بنفسه.٣٥

لقد كان الحصول على الجمال وسيلة السفر داخل الحجاز الشغل الشاغل لكل حاج لذا كثرت الشكوى من المطوفين في تلك الفترة ، و هذا ما نلاحظه في رحلة مولانا محمد حسين إله آبادى " رحلة المسكين إلى البلد الأمين" و كان مريدا لحاجي إمداد الله المكي – و هو من المهاجرين الهنود الذين أقاموا في مكة و توفي فيها – و خليفته و كتب رحلة الحج هذه بلغة و لهانة مشتاقة تتقاطر حبا و عشقا كما أبدى احتراما و حبا لا حدود له للعرب لكنه انتقد المطوفين. يقول : " حصلنا على الجمال هذا العام في وقت متأخر جدا و لهذا السبب رحلنا من مكة وقت العصر و نزلنا إلى حدود منى عند المغرب و أقمنا صلاة العشاء في منى و كنا نريد أن نصلي الفجر هناك ثم نغادرها و لكن المطوفين لم يوافقوا على ذلك ، و لكنني صممت على القيام في منى ثم توجهنا إلى عرفات في نهاية الليل ، و وصلنا إلى هناك قبل طلوع الشمس ، و المطوفين يترددون دائما على الحج و لم يكن الحج ذاته هدفهم بل هدفهم جمع المال من الحجاج فقط و لهذا لا يحفلون كثيرا بالسنن و الشعائر المستحبة ". ٣٦

و مع مطلع القرن العشرين كتبت عدة رحلات و لكنها ركزت في الغالب على ذكر مناسك الحج ، و من هذه الرحلات رحلة " غنجه حج " أي أنوار الحج لمحمد مصباح الدين أحمد . ٣٧

و رحلة حج " سفر حرمين الشريفين " لخان بهادر عبد الرحيم النقشبندي و هي رحلة طويلة تحتوي على ثلاثة أقسام كتبها عام ١٩١١ م تحدث فيها عن مناسك الحج و صعوبات السفر و الحياة في مكة و أسعار السلع و قدم فيها النقشبندي نصائح غالية للحجاج و تعد من الرحلات القيمة التي قدمت تفصيلات تاريخية عن مكة المكرمة و المدينة المنورة .

و في ٢١ جمادى الأولى عام ١٣١١ هـ / ١٩١١ م قام خواجه حسن نظامى برحلة إلى مصر و فلسطين و الشام و الحجاز و سعى للتعرف على جميع ملامح الحياة و كل شيء في أرض الحجاز ديار المحبوب ، و رأى المدينة المنورة بعين رجل الدين والصوفي وقد اعتور ته مشاعروعواطف جياشة أمام قبرالرسول. ٣٨ و تشبه رحلة خواجه حسن نظامى

الرحلة السابقة نظرا للتقارب بين صفات الكاتبين فالعاطفة قوية و المشاعر جياشة ، و قد صدرت الطبعة الثالثة في دهلي في عام ١٣٤١ هـ/ فبراير ١٩٢٣م. يقول عند الحديث عن سكة حديد الحجاز : " قطارات سكة حديد الحجاز أصغر من قطارات الهند الكبيرة ، و أكبر من قطارات الخطوط الصغيرة ، و فيها درجتان فقط الأولى و الثالثة ، و لا توجد في القطار عربة مخصصة للصلاة كما هو الحال في الهند ". ٣٩

و عندما وصل إلى المدينة المنورة يقول : " لا تظهر عظمة حرم الرسول صلى الله عليه و سلم في الصور التي تطبع فهي تعرض فقط للصحن والأعمدة الخارجية و الروضة المنورة ، لكن إذا ما دخل الإنسان الحرم ، شاهده باتساعه الكبير و رحابته ، فيمكن لخمسة و عشرين أو ثلاثين ألف مصل إقامة الصلاة في وقت واحد .. لكن هناك التزام جدير بالثناء ، و هو الحفاظ على مكان المسجد الذي بني في زمن رسول الله كما هو بعينه ، وتحديد هذا المكان " ٤٠

ثم يتحدث عن شيخ الحرم فيقول : " شيخ الحرم هذه الأيام شيخ تركي عجوز طيب العشرة ، التقيت به في لقاءات خاصة ، و تحدثت معه عن عدة قضايا مهمة تخص المسلمين . و قد بحثنا بشكل خاص مسألة الخلافة و كيفية اتخاذ حلول عملية لمثل هذه المسألة ، و قد أخبرته بأن الحكومة التركية لا تعمل شيئا من أجل الخلافة ، و من هنا عليه أن يحث الحكومة على أن تبدأ نشاطها في المدينة المنورة و مكة المكرمة ". ٤١

و ذكر خواجه حسن نظامي الهنود الذين يعيشون في المدينة المنورة فقال : " أما أهل الهند فحدث و لا حرج ، فحيثما تطلعت وجدتهم ، فجميع حراس بوابات الحرم النبوي من الهنود ، و من يقوم على شؤون السقاية و غيرها داخل الحرم من الهنود ، و قد سمعت أيضا أن خدمة الحراسة في مكة المكرمة في يد الهنود . لقد سررت كثيرا بعد مشاهدة هذه الأمور ، ألف ألف شكر لك إلهي ، فأهلنا من الهنود وجدوا القبول على عتباتك ". ٤٢

ثم بدأت رحلات الحج الهندية تتناول موضوعات سياسية ، و بدأ مجال اهتمام الرحالة يتسع و نموذج ذلك نجده عند شيخ الهند محمود الحسن في رحلته " سفرنامه شيخ الهند"، و هي رحلة ذات طابع سياسي ، و قد كتبت هذه الرحلة عندما انتشرت الشائعات حول شيخ الهند بأنه سيهاجر من ديوبند إلى مكة المكرمة للعيش فيها بقية حياته و قد ألقي القبض عليه أثناء سفره و اعتقل في جزيرة مالطا ، و قد قام مولانا حسين أحمد مدني بتحرير هذه الرحلة ، و هي شهادة حية على الصراع الذي دار بين شريف مكة و الأتراك و لهذه الرحلة أهمية تاريخية و سياسية غير عادية .٤٣

قصد الشيخ محمود الحسن أرض الحرمين في شهر شوال سنة ١٣٣٣هـ / أغسطس ١٩١٥ م في زمان اشتدت فيه الحرب العالمية الأولى " وصل الشيخ إلى مكة المكرمة في الثامن و العشرين من شوال ، و نظرا لظروف الحرب العالمية و امتناع الكثير من البلدان عن إرسال رعاياها للحج ، فقد قل عدد الحجاج ، لكن الحرم رغم كل هذا كان مزدحما . اختار الشيخ مطوفا يدعى " سيد أمين عاصم " و هو ممن ذاعت شهرتهم بين الحجاج ، و عرف عنه حسن الخلق و الشرف ، و كان عالما يرعى الأحكام الشرعية في أداء مناسك الحج ، و يقال إنه كان من الأثرياء في زمان الشريف علي ، إلا أن حالته ساءت فارتحل إلى الهند ". ٤٤

و يصف الشيخ محمود الحسن سجن مكة فيقول : " ينقسم السجن إلى قسمين : قسم مدني و قسم غير مدني ، و القسم المدني يقع في منطقة الحميدية ، و فيه يصرح للمعتقل بالالتقاء بمن يريد و يحضر له الناس الطعام ، أما القسم الآخر فيقع بالقرب من بيت الشريف ، و هو قبو مملوء بالسلالم التي تؤدي إلى " زنزانات" صغيرة مظلمة ، نهارها كليلها ، و الدرجة الثانية في هذا القسم يطلق عليها " تخشيبة" ، و على كل حال فهذا ليس بسجن بل هو نموذج لعذاب جهنم ،

و قد وضع الشيخ حسين أحمد مهاجر المدني الذي رافق شيخ الهند مولانا محمود الحسن في سجن الحميدية ، فكان المطوف سيد أمين عاصم يأتي له بالطعام هناك ". ٤٥

و قد جاء في الرحلة أن الشيخ محمود الحسن رفض التوقيع على العريضة المقدمة له مما أثار الشريف فالتقى " بالكرنيل ولسن" المعتمد البريطاني الذي أصدر بدوره أمرا بالقبض على الشيخ محمود الحسن و من معه حكيم نصرت حسين و سيد هاشم ، ثم إشعار الشيخ بما يلي : " حكومتكم (أي الحكومة البريطانية) تطلبكم " . و رد الشيخ نحن لا نعترف بأي حكومة كافرة هنا على أرض الحرم ، و نحن في مأمن ما دمنا في الحرم ، و لكن إذا كان الشريف نفسه يريد أن نخرج من هنا فسوف نذهب ".

و كانت التهمة الموجهة للشيخ محمود الحسن هي رفضه التوقيع على العريضة أو الفتوى الموجهة ضد الأتراك .٤٦. و عليه تم حبس بعض رفاق الشيخ بتهمة الإساءة إلى الحكومة البريطانية ، كما تم اعتقال الشيخ محمود الحسن في ١٨ ربيع الأول ١٣٣٥ هـ / ١٢ يناير ١٩١٧م و نقل إلى مصر و منها إلى مالطة .

و كتب محمد شريف أمر تسرى رحلة " سفرنامه حج " عام ١٩٢٧ م ، و هذه الرحلة مثال على الرحلات المختصرة حيث تناول فيها تأثير السفر فيه من خلال زيارته للحرم و قبر رسول الله و قدم عدة نصائح للحجاج من خلال تجربته .٤٧

وجاءت رحلة "سفرنامه حجاز" أي الرحلة الحجازية ثمرة عظيمة لرحلة الحج التي قام بها محمد حفيظ الرحمن سنة ١٩٣٢ م ، و مع أن هذه الرحلة تقليدية فإن ذوق العبودية و جمال العقيدة يتجليان منها بوضوح و بشكل كامل و قد أسهبت هذه الرحلة في وصف مكة و المدينة و الأماكن المقدسة في كل منهما . ٤٨ .

و تعتبر رحلة " صراط الحميد " لالياس برني من رحلات الحج الهندية التي ألقت الضوء على العلاقة بين الأتراك و شريف مكة ، و كانت له ثلاثة أهداف من الرحلة . أولا تشويق المسلمين إلى الحج . ثانيا : التذكير بأحكام الحج و مناسكه ، ثالثا : التأثر بأحداث الرحلة بمجرد قراءتها. و قد نجح نجاحا منقطع النظير في أهدافه الثلاثة و يبرز في الرحلة الجانب السياسي بشكل واضح و قدم أحداثا رآها بعينيه عن الصراع بين الأتراك و شريف مكة و لهذا تعد رحلة " صراط الحميد" وثيقة تاريخية مهمة لأحداث عصره .٤٩

و قد ارتقى أسلوب رحلات الحج الهندية بالتدريج حتى وصل إلى مرحلة أبدع فيها الكاتب أدبا يستحق الاهتمام ، و خاصة إذا كان الكاتب أديبا موهوبا مثل مولانا عبد الماجد دريابادى الذي عبر عن مشاعره و أحاسيسه نحو مكة المكرمة و المدينة المنورة و هو فقيه و محدث و مفكر و أديب و سياسي .

وعرض دريابادى في رحلته مناسك الحج ، و وقائعه بالإضافة إلى ما ينتاب الإنسان من عواطف و أحاسيس وكل هذا من خلال عرضه للتاريخ ، كما شرح بعض القضايا الفقهية ، وكان الرجل يدعو إلى ما فيه صالح المسلمين من الناحية السياسية حتى يعم الأمن ربوع البلاد كلها وهكذا جاء أسلوبه على مستوى عال.٥٠

يقول " أقلعت الباخرة "أكبر" في الحادية عشر مساء في يوم الخميس ١٦ شوال الموافق ٢٨ مارس ١٩٢٩ م من ميناء بومباي ، يا الله يا له من وقت بديع و يا لها من متعة حقة عندما تحركت الباخرة كأنها القيامة ,كيف أصف حركة دقات قلبي ، إن الشوق إلى زيارة بيت الله يجعل كل مؤمن و مؤمنة سكران بهذه النشوة و لا يعبأ بأي مشقة أو تعب في سبيل هذا الهدف" . ٥١

و عندما وصل عبد الماجد دريابادى إلى مكة المكرمة و بيت الله الحرام وقعت عيناه على الكعبة فيصف هذا المشهد المهيب الذي يرى فيه بيت الله لأول مرة فقول : " و ظهر لنا المسجد الحرام بحوائطه الأربعة ، و قد تجاوزنا عدة أبواب من أبوابه حتى وصلنا إلى باب السلام و دلفنا منه حيث يعتقد أنه أفضل أبواب بيت الله الحرام للدخول منه فما أن يدخل المرء إلى هذه الأرض الطاهرة و هذه البقعة من النور حيث الصلاة الواحدة فيها تعادل مائة ألف صلاة أو على الأقل ألف صلاة ، دخلت إليه و عندما وقعت عيني على ذلك المبنى المغطى بستارة سوداء لم يتسع لذلك الخيال من الأرض و حتى السماء و العرش و الكرسي فقلت بصوت عال: " بيتنا" فالعين البشرية و البصيرة الإنسانية لا يتحملان حرارة الأنوار و التجليات !! الله الله أي حسن و جمال أي طلاوة و فتنة أي جاذبية و جلال الله أكبر أي بيت أمامنا ؟ العيون حيرى و هي تنتقل بين جنباته أهذا البيت الذي قيل فيه : " إن بيت الله كان أول بيت يذكر فيه اسمه" فهو أول بيت للعبادة على وجه الأرض لم يعمر في قرن أو قرنين و لم ين في ألفين أو أربعة آلاف سنة ، فمن ذا الذي يستطيع أن يخبرنا في ذلك الوقت بتاريخ أول بيت للعبادة في الدنيا و أي نسل إنساني يحفظ لنا ذلك و هذا البيت أقامه سيدنا آدم بيديه فمن من بني آدم يتذكر ذلك الوقت ؟" ٥٢

و عندما ودع مولانا عبد الماجد دريابادى المدينة ودعها بعواطف مليئة بالشجن و لكنه لم يفقد حواسه يقول : " إن حالة وداع المدينة المنورة و لو لم تدخل في سوء الأدب فإن هذه الحالة تشبه تماما حالة البنت التي تودع بيت أمها فيكون الذهن شاردا و تعلو الشفاه آهات و العيون مليئة بالدموع و الوجه مفعم بالمشاعر و الجميع في الروضة حيث مصلى الرسول يتسابقون بالدعاء و تبدلت حالة القلب من الخوف و الاضطراب إلى الطمأنينة و السكينة " .٥٣

و في سنة ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠ م قدم الشيخ غلام رسول مهر من لاهور إلى مكة المكرمة لأداء مناسك الحج بدعوة من جلالة الملك عبد العزيز – رحمه الله – فكتب رحلته " سفرنامه حجاز" و هي من الرحلات المهمة التي تكشف جوانب كثيرة منها علاقة المسلمين في شبه القارة الهندية بمكة المكرمة و الحجاز و دونت هذه الرحلة في فترة مبكرة كانت الأراضي المقدسة تشهد فيها بداية التطور و توسيع الخدمات و المرافق في عهد الملك عبد العزيز ، و الذي يطلع على بعض ما ورد في الرحلة يلمس الجهد العظيم الذي بذلته حكومة المملكة العربية السعودية من إنجازات لخدمة الحجاج في مجال المرافق و الخدمات المدنية و الإدارية ، و تحمل هذه الرحلة أهمية لدارسي تاريخ الحجاز ، و بخاصة في عهد المغفور له الملك عبد العزيز ، لأن كاتبها من كبار علماء شبه القارة الهندية و أدبائها و ممن يعتد برأيهم ، و من الباحثين الملتزمين بالدقة و الأمانة . و قد مضى على هذه الرحلة ما يقرب من خمس و ستين سنة ، تغيرت خلالها المعالم حول الحرم و في مكة المكرمة و ما حولها و أنجزت الكثير من المشروعات العظيمة في الحرمين الشريفين لخدمة المسلمين . إضافة إلى أهمية ما كتبه غلام رسول مهر عن الملك عبد العزيز – رحمه الله – فقد كان لقاؤه به عن قرب ، و كانت معرفته به وثيقة ، و لهذا فإن ما جاء في الرحلة من حقائق يعد شهادة من عالم و باحث فاضل لا يتحرى إلا الحق و الصواب فيما يدون .٥٤

و تحدث غلام رسول مهر بالتفصيل عن الدعوة الملكية فقال : " في الخامس من مايو وجهت الدعوة من جانب السلطان (الملك عبد العزيز) المعظم إلى الأكابر من الحجاج و أعضاء الحكومة ، و استجاب لهذه الدعوة خمسمائة حاج على الأقل ، و لم يشترك إسماعيل و لا قاضي سليمان منصور بوري بسبب المرض و اعتلال صحتهما ، و تم الترتيب على أن يصل جميع المدعوين في المساء إلى الحميدية (مقر إدارة الحكومة المركزية بالحجاز) و هناك كانت عشر سيارات واقفة لحمل المدعوين إلى القصر الملكي ، كنت مع خان محمد خان (و هو هندي و مدير دار الكسوة) و الحافظ محمد صديق

الدهلوي – و بعد وصولنا بخمس دقائق نهض السلطان ، فنهض معه جميع الحاضرين ، و كانت موائد الطعـام في صـحن القصر و حجراته ، كان الطعام فخما ، و في أثناء تناولنا الطعام مر علينا الأمير سعود ولي عهد مملكة نجد و الحجاز ، و بعد الفراغ من الطعام انتقل المدعوون جميعا إلى الطابق الثالث في القصر ، و حضر السلطان المعظم و جلس في ركـن مـن أركان الصالة ، و جلس من حوله علماء نجد ومصر ، و جلسنا نحن في كراسي الصف الخامس ، فكان على يمنى القنصل المصري ، و على يساري خطيب جامع زين العابدين بمصر و كان السلطان المعظم أمامي ، و هكذا بعد أربع سنوات و ربع ، أرى السلطان عن قريب بملابسه البسيطة ، و عباءته التي لبسها فوق ثيابه و في قدميه الصندل النجدي نفسه . و بعد دقائق بدأ السلطان المعظم في إلقاء خطابه ، و بعد أن تلا قوله تعالى : " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم " بدأ في شرح كلمة التوحيد ثم شهدنا قوة بيان السلطان و ما يتميز به من سحر خطابي ، و حماسة و محبة للإسلام ، ولمدة خمس دقائق غرق خمسمائة حاج من مختلـف شـعوب الأرض في أمواج هذا السحر الحلال الذي نتج عن براعة السلطان الخطابية ". ٥٥

و تحدث غلام رسول مهر في رحلته هذه عن تاريخ مكة المكرمة و المهاجرين الهنود و التكايا و الأربطـة و السكان و الحرم الشريف و عمارة الكعبة و الكسوة و غيرها .

و بعد توحيد المملكة على يد الملك عبد العزيز وفدت على جزيرة العرب وفود رسمية من الهند ، و ضمن هذه الوفود قدم أدباء و علماء نذكر منهم مرزا عبد الحليم بيك و قد جاء للحج من حيدرآباد سنة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م و قدم في هذه الرحلة دليلا مختصرا يتحدث عن مكة المكرمة و أسواقها و شوارعها و أنواع الطعام العربي و الهنـدي المتوافر في مطاعمها ، و تحدث عن عمارة الحرم و أضاءته بالتفصيل و سمى رحلته " سركذشت حجاز " أي سيرة حجـاز ٥٦.

و في هذه الفترة كتب أمير أحمد علوي رحلة " سفر سعادت " و هي رحلة ذات قيمة تاريخية في ذلك العهـد حيث تحدث عن الحالة السياسية في الحجاز و مكة المكرمة .٥٧

و كتب الدكتور عبد المجيد صديقي رحلة " سبيل الرشاد " في عام ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م و تصـنف هـذه الرحلة من رحلات دليل الحاج حيث اهتم كاتبها بالتفاصيل الدقيقة الخاصة بالسفر و أداء المناسك و كل شيء يتعلـق بمكة المكرمة بالتفصيل ، و لكن الجانب الروحي فيها يتضاءل أمام التفاصيل الكثيرة التي قدمها و قد نشـرت جمعيـة مسلمي البنجاب هذه الرحلة لتكون دليلا لكل حاج ، و قد تحدث عن وسائل النقل و الجمال و أجرها .٥٨

و في نفس العام رحل محمد حفظ الرحمن و فادبائيوى إلى الحجاز و كتب رحلة بعنـوان " راه وفـا " أي طريق الوفاء و هي رحلة على طريقة رحلات الحج القديمة ، و كتبها على هيئة يوميات تمتلي بالحب و الوجدان .٥٩

و تعد الرحلة التي قام بها نواب محمد صادق عياسى أمير إمارة بهاول بور عام ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ م للحـج من الرحلات الرسمية التي حظيت باهتمام بالغ لدى المسئولين في المملكة العربية السعودية حيث قدم نواب محمد صـادق مشاهداته في الحج و تجربته الروحية في أرض الحجاز ، و كان مولوى محمد عزيز الرحمن عزيز مصاحبا له فتولى تـدوين الرحلة و قدم معلومات مهمة عن مكة و المدينة و المناسك ، و التقى نواب محمد صادق بالملك عبد العزيز يقـول : " في العاشر من مارس قدم جلالة الملك السلطان عبد العزيز بن سعود ملك المملكة العربية السعودية إلى مكة لأداء مناسـك الحج ، و في اليوم التالي شرف نواب بهاول بور بزيارة قصر جلالة الملك ، و في ١٢ مارس أقيمت مأدبة ملكية حضرها

آلاف الحجاج ، و في هذا اليوم أجريت مراسم غسل الكعبة المشرفة " ٦٠ و أطلق عليها كاتب الرحلة اسم " حج صادق " .

و بعد تقسيم شبه القارة الهندية (١٣٦٦هـ / ١٩٤٧ م) ظهرت دولتا الهند و باكستان و كذلك ظهرت المملكة العربية السعودية بعد توحيدها على يد الملك عبد العزيز بدأ عهد جديد كان له تأثيره فى كتابة رحلات الحج الهندية باللغة الأردية حيث بدأ الأدباء يعبرون عن مشاعرهم أكثر من ذكر مناسك الحج و كيفية الذهاب إلى مكة المكرمة و غيرها من التفاصيل التي قتلت بحثا في الرحلات السابقة و تحولت الرحلة إلى قطعة أدبية استخدم فيها الكاتب لغة بسيطة و سلسة . و من هذه الرحلات رحلة " ديار عرب مين جندماه " أي شهور في ديار العرب لمولانا مسعود عالم الندوى و هي رحلة قام بها للعراق و الحجاز و لأنه رجل دين لذا اهتم أكثر بالمسائل الدينية و في أثناء رحلته لم يتخل عن مهمته الأساسية و هي التبليغ و لقاء الشخصيات السياسية و أسلوبه بسيط و واضح و تعد رحلته هذه وثيقة سياسية مهمة في تاريخ الحجاز و مكة المكرمة . ٦١

و سوف أتناول هذه الرحلة بالتفصيل في الصفحات القادمة .

أما الشيخ أبو الحسن الندوي فهو أديب بالأردية و العربية و معروف في البلاد العربية و كتبه تملأ المكتبة العربية و يكتب بالأردية و العربية و الإنجليزية و حصل على جائزة الملك فيصل في خدمة الإسلام و من رحلاته العديدة رحلة بعنوان " شرق أوسط مين كياديكها " أي ماذا رأيت في الشرق الأوسط ؟ يقول في رحلته التي امتلأت بحبه للإسلام و رسول الإسلام : " بعد أداء فريضة الحج طرت على أجنحة أشواقي و مضيت إلى المدينة المنورة ، كانت جاذبية المحبة و الوفاء تشدني إلى المدينة المنورة دون عناء ، كنت أدرك أن مشاق الطريق رحمة و أمام ناظري تتراءت لي آثار المسافر الأول الصادق الأمين الذي مضت ناقته على هذا الطريق ، و الذي ملأ هذا الطريق ببركاته . وصلت المدينة فقمت بادئ ذي بدء فصليت ركعتين في المسجد النبوي ، و شكرت الله رب العزة الذي جعل هذه السعادة من نصيبي "٦٢

ثم كتبت ثلاثة رحلات حج في تلك الفترة تشترك في اللغة و الأسلوب و الهدف و هي " رحلة الصديق إلى البيت العتيق " لمحمد صديق خيرآبادى و هي رحلة امتزجت فيها المشاعر الروحية و المادية و تناول فيها تاريخ الحجاز و مكة المكرمة بالتفصيل منذ عهد الرسول صلى الله عليه و سلم ٦٣ . و الرحلة الثانية رحلة " ديار حبيب كي باتين " أي أحاديث ديار الحبيب لفضل الدين و هي رحلة رسمية و علمية إلى البلد الأمين .٦٤ و الرحلة الثالثة هي " سفر حجاز " أي رحلة للحجاز لعبد الكريم ثمر .٦٥ ثم كتب عبد الصمد صارم رحلته " سفرنامه حج و زيارت" و هي لا تختلف من حيث الشكل و المضمون عن الرحلات الثلاثة التي سبقتها .٦٦ .

و تمثل رحلة العلامة أبي الأعلى المودودي " سفرنامه أرض القرآن " أي رحلة في أرض القرآن نموذجا واضحا لتأثير توحيد الملك عبد العزيز لجزيرة العرب على مسار الرحلة الأردية للحجاز ، فلم يعد الدخول إلى الأماكن المقدسة في الحجاز يتم من عدن و اليمن بل أصبح القادم من شبه القارة الهندية الباكستانية يدخلها من الظهران و الخبر و الدمام ثم إلى الحجاز و مكة المكرمة في المنطقة الغربية من المملكة ، و هذه الرحلة ليست رحلة فرد واحد ، بل رحلة جماعة من العلماء يقودهم عالم جليل كان له أثره في الأدب الأردي وفي العمل الإسلامي في شبه القارة الهندية ، و هو العلامة أبو الأعلى المودودي ، ومن هنا جاءت الرحلة مختلفة عن معظم الرحلات السابقة ، نظرا لاختلاف الهدف ، و اختلاف اهتمامات الرحالة أنفسهم .

و كان السفر عام ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م بهدف الاطلاع على الأماكن التي ذكرت في القرآن الكريم ، حين كان المودودي يكتب تفسيره للقرآن الكريم باللغة الأردية (تفهيم القرآن) فاشتاق ليرى آثار و أحوال البلاد الطيبة ، و يلتقي في الوقت نفسه بالعلماء و الأدباء من أهل الجزيرة العربية ، و قد قام بتحرير الرحلة محمد عاصم السكرتير المرافق للشيخ أبي الأعلى المودودي ، و صدرت الرحلة في طبعات متتالية (٨ مرات) حتى عام ١٤١٢ خ / ١٩٩١ م ، و كان الطبعة الأولى قد صدرت سنة ١٣٨٨ ٥ / ١٩٦٨ م و تضمنت عددا كبيرا من الصور (حوالي ٥٥ صورة) للأماكن التي زارها المودودي .٦٧

و قد شاهد المودودي مشروع توسعة الحرم و كتب عنه يقول : في أثناء إقامتنا في مكة المكرمة أتيحت لنا فرصة مشاهدة توسعة الحرم المكي ، و المباني الجديدة التي تقام حاليا ، و العمل في مشروع توسعة الحرم يمضي على قدم و ساق ، و سوف تكون المباني على طابقين و كذا الحال في المسعى بين الصفا و المروة الذي اكتمل العمل فيه ، و بعد الانتهاء من هذه التوسعة ستتضاعف مساحة الحرم ، و يمكن لحوالي نصف مليون مصل من أداء الصلاة في داخل الحرم المكي في وقت واحد ، و تصبح عمارة الحرم من أعظم عمارات الدنيا ، و تقدر تكلفة هذه التوسعة بمائتي مليون روبية ، و جميع نفقات هذه التوسعة على حساب الملك سعود و من ماله الخاص ، و سوف يكتب هذا في قائمة أعماله و حسناته " ٦٨

و في أواخر عام ١٣٣٩هـ / ١٩٢١ م قام العالم القاضي محمد سليمان المنصور بوري ٦٩ برحلة للحج هي " سفرنامه حجاز " أي الرحلة الحجازية و نشرها سنة ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م و جعلها كتابا في التاريخ و المعرفة بدلا من أن تكون سردا لحوادث و مشاهدات ، و قد سافر العالم الجليل مرة أخرى للحج عام ١٣٤٩ هـ / ١٩٣٠ م و لقي الملك عبد العزيز و توفي في سفر العودة . و يقال إن " الملك عبد العزيز يرحمه الله تأثرا كثيرا بلقائه مع الشيخ القاضي محمد سليمان حتى أنه طلب منه أن يكتب كتابا عن " تاريخ نجد " فجعل القاضي محمد سليمان الحديث مع " السلطان " عن تاريخ نجد ، و قدم السلطان (جلالة الملك) عبد العزيز للشيخ عددا كبيرا من المصادر العربية حتى يقوم بكتابة كتاب عن تاريخ نجد حين يعود للهند و أهداه جلالة الملك قطعة من غطاء الكعبة بقدر أربعة أقدام مربعة ، مكتوب عليها بخط طغري سورة الإخلاص ومكتوب عليها يا الله أربع مرات ، و يقول الشيخ الجليل القاضي سليمان : " حين تلقيت من جلالته هذه الهدية المباركة قلت له:هذا أثمن عندي من الدنيا وما فيها " ٧٠

و قدم القاضي المنصور بورى تحليلا للوضع السياسي في الحجاز ، و في لقاء تم بينه و بين الشريف حسين سأله الأخير عن عدم رضا مسلمي الهند عنه فرد عليه قائلا : ليس سبب عدم رضائهم تغير الأسرة أو الحكام ، إن مسلمي الهند يعتقدون أن هناك ظلالا للسيطرة الأجنبية هنا ، سيطرة غير المسلمين على الحجاز ، و هذا أمر يحزنهم كثيرا ، و هذا لا يعني أنهم لا يتمنون الفلاح للسلطنة الهاشمية ، لا ...بل هم يتوجهون بالدعاء أن تحكم السلطة الهاشمية حتى أقصى الشرق .. فأنتم أولاد الرسول . و هذا شرف لم ينله الأتراك " ٧١

و تضمنت الرحلة مباحث تاريخية مهمة ، و وصفا دقيقا للأماكن المقدسة و المآثر الإسلامية إضافة إلى شرحه للجغرافيا البشرية للحجاز بمفهومها الواسع و فصل الحديث في القبائل .

و قد ظهر عدد كبير من رحلات الحج الهندية بعد عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠ م و تنوعت أساليبها و موضوعاتها و اتجاهاتها نذكر منها رحلة نسيم حجازي " باكستان سي ديار حرم تك " أي من باكستان إلى ديار الحرم ، و كان قد زار مكة المكرمة للحج ضمن وفد رسمي باكستاني عام ١٣٧٩ / ١٩٥٩ و لذلك تتجلى الجوانب السياسية

في هذه الرحلة بوضوح و تتميز بأسلوب أدبي رفيع لأنه نسيم حجازي أديب و روائي و صحفي له مكانتــه في الأدب الأردي .

و قد حفلت الرحلة بمعلومات مهمة عن أسواق مكة ، و الطرق و الشوارع و بيت الضيافة الذي أهدته الحكومة السعودية للحكومة الباكستانية في المدينة ، و الاقتصاد و التعليم و تطبيق الشريعة الإسلامية .٧٢

ثم تأتي الرحلة الحجازية " سفرنامه حجاز" لسلطان داود لتلقي الضوء على مناسك الحج من منظور تــاريخي و اجتماعي و ديني و قام بالرحلة في سنة ١٣٨٢هـــ/١٩٩٣م و قد اهتمت بالحالة الاجتماعية للمجتمع المكي و المدني. يقول : " أهل مكة طيبون ، يتوكلون في كل أعمالهم على الله سبحانه و تعالى ، لا يعرفون الطمع . في منى أعطيت امرأة فقيرة بعض النقود ، فراحت تدور هنا و هناك ثم عادت إلى نفس الخيمة ، فقال لها حاج باللغة العربية " لقد أعطيتك الآن " فقالت له : " لم تعطني ، الله أعطاني " ثم انصرفت " ٧٣ .

و ركز مفتاح الدين ظفر في رحلته " سفر مقدس " أي الرحلة المقدسة على جوانب ممتعة في رحلة الحج و فصل القول في رمي الجمرات و ما مر به من مواقف .٧٤

و قد وجهت وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية الدعوة إلى الأديب الصحافي الطاف حسين قريشي للحــج سنة ١٣٨٦ هـــ/ ١٩٦٧ م فكتب رحلته " قافلة دل كي جلي " أي مضت قافلة القلــب و نشــرها في مجلــة " أردو دايجست" بداية من يونيو ١٩٦٧ م . و وصف فيها الحجاز و الأماكن المقدسة في مكة المكرمة و المدينــة ، و هــي مــن الرحلات الصادقة التي تمدنا بمعلومات قيمة عن مكة المكرمة و الحجاز في ذلك الوقت . ٧٥

وسافر راجه محمد شريف للحج سنة ١٣٨٨هـــ/١٩٦٩ م و كتب رحلته " آئينه حجاز" أي مرآة الحجــاز و لهذه الرحلة أهمية تاريخية و أدبية و قد ضرب صاحبها أرقاما قياسية ٧٦ في السعي و الطواف و الصلاة في الحرم و تقبيــل الحجر الأسود و تناول حقائق مهمة بأسلوب جذاب .

و قدم محمد شفيع صابر للحج عام ١٣٨٥ هـــ/١٩٧١ م برا من باكستان إلى أفغانستان ثم إيران فالعراق إلى أن وصل إلى المملكة العربية السعودية و تحدث عن علماء و شيوخ تلك البلاد التي مر بها و وصف لنا مشاهداته العينيــة بالتفصيل و تعلو فيها نبرة الصدق و الروحانية .٧٧

و تعد رحلة " سفرنامه حج و حرمين " للحاج محمد شجاع ناموس في الرحلات المهمة الــتي انطلقــت مــن باكستان سنة ١٣٨٣هـــ/١٩٦٤ م فتتميز هذه الرحلة بكم هائل من الصور التي التقطها الرحالة بنفسه للمناسك و للحرم و لمكة المكرمة و المدينة المنورة و قام برسم خريطة لمكة المكرمة ، و تحدث بالتفصيل عن الأسرة السعودية و جهود الملك عبد العزيز في توحيد الجزيرة العربية عام ١٣٤٤هـــ / ١٩٢٥ م و تناول الحركة السلفية و حكم الشريعة الإســلامية و أخلاق الناس في الحجاز و توسعة الحرمين الشريفين . ٧٨

و في هذه الحقبة صدرت العديد من رحلات الحج تميزت بنضج فكري و التطرق إلى موضــوعات جديــدة في السياسة و الاجتماع و الاقتصاد ، و من أهم هذه الرحلات رحلة عفت إلهي علوى " سفرنامه جحاز " أي الرحلة الحجازية و طبعت في مطبعة أنجمن بريس في كراجي ١٩٧٥ م ، و رحلة محمد محسن تونكي " سفر حج كي تاثرات " أي آثار رحلة الحج و طبعت في مطبعة ديسنت بريس في كراجي ١٩٧٥ م أيضا ، و رحلة " مرحبا الحلج " لمحمد ذاكر علي خان و هو أديب تربى و ترعرع في على كره و أضفى على الرحلة روحاً دينية واضحة ، و نشرت من قبل إيجوكيشنل سوسائتي في

كراجي ١٩٧٦ م ، و رحلة عبد الله ملك " حديث دل " أي حديث القلب و طبعت في مطبعة كوثر ببلى كيشتر بلاهور ١٩٧٨ م ، و رحلة شمس كشميري " جهلم سي عرفات تك " أي من جهلم (في باكستان) إلى عرفات و هي خلاصة رحلتيه للحج عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٦ م . ٧٩

و من أهم الرحلات في تلك الفترة رحلة " لبيك " لممتاز مفتي سنة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م ، و هي رحلة أدبية رائعة وصف فيها مكة المكرمة و المدينة المنورة و تتجلى فيها الجوانب السياسية و الحضارية و لهذا فهي رحلة مختلفة عن رحلات الحج الأخرى لأنه بقلم روائي و أديب و صحافي تغلغل في نفس الحاج و وصف خوالج قلبه بصدق . ٨٠

و تأتي رحلة الدكتور نصير أحمد ناصر " روداد سفر حجاز " أي تقرير رحلة الحجاز تعبيرا عن حكاية الشوق و الجذب و البحث في فلسفة الحج و الخالق و الألوهية و الإيمان و التساؤلات التي تدور في نفس الحاج عن سر أسرار الطواف و سبب البكاء في الحرم و غيرها من المشاعر الخاصة بالحج و قد بدأ رحلته في ٨ ربيع الأول ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .٨١

أما رحلة " بحر سوى حرم " أي (ولينا وجهنا شطر الحرم) لصادق قريشي فهي رحلة حج هندية في نهاية القرن الرابع عشر الهجري ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م و تتميز هذه الرحلة بأنها كتبت بلغة سهلة يفهمها العامة و هم أكثرية الحجاج الهنود . ٨٢

و جاءت رحلة الحاج محمد زبير " جند دن حجاز مين " أي أيام في الحجاز خلاصة تجربة رحلته للحج عام ١٩٥٠ م و العمرة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ / ، و هي رحلة مليئة بالشوق و الشجن تجاه الأماكن المقدسة و بحث في حقيقة الحج و أهدافه و السيرة النبوية و حياة سيدنا إبراهيم علاوة على تاريخ مكة و الحجاز ، و لأنه كان يعمل في مجال المكتبات لذا اهتم بوصف المكتبات في منطقة الحجاز و الاطلاع على الكتب العلمية و الدينية بها ، و تحدث عن تأسيس السيدة صولت النساء إحدى نساء كلكتا المتدينات للمدرسة الصولتية في مكة المكرمة عام ١٨٧٤ م / ٨٣ .

و قد طوى فريد أحمد براجه في رحلته " سفر شوق " أي رحلة الشوق في الظاهر نفس الطرق التي يطويها مئات الآلاف من السالكين في طريق الحق لكنه نظر إليها بنظرة خاصة أخرى و تناول التاريخ القديم و الحديث للحجاز و مكة المكرمة و تأثر بجمال المناظر فيها . يقول : " ذات يوم كنا نمر في سوق مكة فسمعنا صوت خشب ! خشب ! فقال العارفين بالعربية لرفاقهم في رعب " الخشب " فهذا صوت بائع الخشب لكني وجدت أنه لا وجود للخشب من قريب أو بعيد ، و علمت بعد ذلك أن معنى خشب هنا هو " أفسح الطريق ". ٨٤

و تتميز رحلة " نوركى ندیان " أي أنهار النور لأحمد خان داراني بالعواطف الإيمانية الجياشة و الأسلوب البسيط السلس . يقول : " أحيط بجنة البقيع سور متين و قوي من الجوانب الأربع و تبدو الساحة الداخلية منها للناظر ، و على البوابة قفل كبير و لهذا وقفت على البوابة و ألقيت عليهم السلام و قرأت الفاتحة ، و أخذني السيد شرقي من روضة الرسول ثم توجهنا إلى حارة في اتجاه القبلة و أراني منزلا قديما كان قد كتب عليه بالعربية منزل سيدنا أيوب الأنصاري و كان المنزل المقابل له منزل الإمام حسن و متصل به منزل الإمام الحسين رضي الله عنهم – و لكن شيدت الآن مباني ضخمة هناك " ٨٥

و كتب الأديب البارع حافظ لدهيانوي رحلته " جمال الحرمين " تناول فيها أحداث سفره للحج عام ١٩٧٤ م و تاريخ مكة المكرمة التي نظر إليها بعين الحاضر و نشرت رحلته " جمال الحرمين " عام ١٤١٠ هـ / ديسمبر ١٩٨٩

بأسلوبه الجذاب الشاعري فهو أديب و شاعر يقول : " لم تطلع على حياتي شمس أجمل من شمس ذلك اليوم ، و لم تمـــر علي لحة سعيدة أبدا كتلك اللمحة ، و لم و لن تسمع أذني خبرا أطيب من ذلك الخبر الذي سمعته اليوم ، فاليوم حلت بي اللحظة المباركة ، كانت قدري حين سمعت أن طلبي لأداء فريضة الحج و الزيارة قبل ... كان هذا اليوم السعيد ثمرة دعاء مستمر ، و أمنية عمري كله ، و رغبة حياتي " . ٨٦ .

و سافر حافظ لدهيانوي مرة ثانية للحج في سنة ١٩٨١ م و اعتكف لمدة عامين في الحرم النبوي و كتب رحلة جديدة هي " منزل سعادات " نشرت في كراجي سنة ١٩٨٤ م .

و من الرحلات المهمة في تلك الفترة رحلة " مشاهدات حرمين " للشيخ الأديب و المؤرخ أسعد جيلاني عــام ١٣٩٥هـ/١٩٧٦ م و نشرت من قبل ترجمان القرآن بلاهور سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨ و هذه الرحلة استمرار للتعبير عن المشاعر الذاتية في أدب الرحلة .٨٧

و رحلة شودري محمد أسلم " حرمين دوسوروز " أي مئتا يوم في الحرم من رحلات الحج الطويلــة في الحجــاز تحدث فيها بصدق عن خواطره حول الحج و الوضع الاجتماعي و السياسي في الحجاز . ٨٨

و عندما تقرأ رحلة " أرض تنما " لغلام الثقلين نقوى تشعر كأنك تشاركه تجربة الحج بسبب أسلوبه الجذاب و ذلك من خلال ذكره للتاريخ الإسلامي لمكة المكرمة و الحجاز و اهتم بذكر التفاصيل الخاصة بالحياة الاجتماعيــة و السياسية في مكة المكرمة . و عندما بدأ في أداء المناسك يقول : " وضع القادمون أقدامهم على الخط الأسود الموصل إلى الحجر الأسود بنية الطواف ثم أشرت إلى الحجر الأسود بيدي و قلت " بسم الله ، الله أكبر ، و لله الحمد " و كررت زوجتي هذه الكلمة أيضا و بدأت الشوط الأول من الطواف و رأيت ستارة الكعبة التي تغلفها و بدأت أفكر فيهــا و في الكعبة و نسيت أدعية الشوط الأول ! " ٨٩

و هناك رحلات حج عديدة لا يتسع المجال لذكرها لأنها لا تزال تكتب حتى هذه الساعة .

ب - الاتجاهات الفكرية في رحلات الحج الهندية :

نعني برحلات الحج الهندية هنا ما كتبه مسلمو شبه القارة الهندية في كل من الهند و باكستان مـــن رحـــلات حجازية دونوا فيها انطباعاتهم عن الحج باللغة الفارسية أولا ثم باللغة الأردية ، و عبروا فيها عن مشاعرهم الجارفة نحو هذه البقاع المقدسة ، و اهتموا بذكر التفاصيل الدقيقة عن تاريخ مكة المكرمة و العادات و التقاليد و الطرق و المناسك و الجغرافيا و الأجناس و السكان و حلقات الدرس في الحرمين الشريفين و المهاجرين و المجاورين من العلماء من شتى بقاع العالم الإسلامي فكانت بحق عاصمة للثقافة الإسلامية على مر العصور .

و رحلات الحج الهندية صارت من المصطلحات الأدبية المهمة و الرائجة في الأدب الأردي و يعـــبر عنـــها بالأردية ب " سفرنامه حجاز " و " حج حجاز " و لغزارة الإنتاج في هذا الفن الأدبي أصبحت رحلات الحـــج الهنديـــة صنفا أدبيا له أطره العلمية و دوافعه الأخلاقية .

و قد أنتجت شبه القارة الهندية الآلاف من رحلات الحج الهندية و لكن لم يطبع منها إلا المئات و لا تزال هذه الثروة الأدبية في طي النسيان و ما كشف منها لا يزال مخطوطاً في حاجة إلى طباعة ، و لقد تنوعت رحلات الحج الهندية و

تعددت أغراضها و الدوافع إليها بين دينية في الغالب و علمية و تعليمية و سياسية و بعضها كان له طابع رسمي ، و قد كتب الرحلة رجال و نساء ، أمراء و فقراء ، رجال دين و علماء ، قضاة و أدباء و فقهاء و محدثون و صحافيون و رجال دولة و ساسة ، و كتبوها باللغتين الفارسية و الأردية نثرا و شعرا ، رحلات حقيقية و خيالية و رحلات حج للأطفال ، و لا تزال تكتب رحلات حج هندية باللغة الأردية و ستظل تكتب إلى أن يرث الله الأرض و ما عليها .

و بلغ اهتمام مسلمي الهند برحلات الحج إلى مكة المكرمة أنهم لم يكتفوا بما أنتجوه من رحلات وفيرة ، بل قاموا بترجمة رحلات الحج المهمة من لغات العالم و لغات الأمم الإسلامية كالإنجليزية و الفارسية و التركية و العربية و منها على سبيل المثال رحلة ابن جبير و رحلة ابن بطوطة .

و مع أن موضوع الرحلة واحد و هو الحج لكنه يختلف باختلاف التجربة الشعورية و الإيمانية من كاتب لأخر ، فكاتب الرحلة من العامة يختلف عن كاتب الرحلة من الخاصة في اللغة و الأسلوب و التوجهات ، و الرحالة الرجل يختلف عن الرحالة المرأة ، و رجل الدين يختلف عن الأديب في تناوله للأحداث .

و تعتبر هذه الرحلات شاهدا على التطور الحضاري و العمراني و السياسي و الاجتماعي لمكة المكرمة حيث وصفت هذه الرحلات الطرق و وسائل المواصلات التي سلكها الحجاج الهنود برا و بحرا و جوا .

و تعد رحلة الأمير صديق حسن خان (رحلة الصديق إلى بيت الله العتيق) التي قام بها عام ١٢٦٨هـ / ١٨٦٨ م أول رحلة حج في اللغة الأردية ، و كان النثر الأردي في ذلك العهد قد مر بعدة مراحل من الرقى ازدهرت فيه فن كتابة الرحلات الحجازية ، و لكن الأمر المثير للحيرة أنه لم تدون في الأردية أية رحلة حج حتى عام ١٢٦٨ هـ/ ١٨٦٨ م بالرغم من أن آلاف الهنود ينالون شرف الحج كل عام ، و حتى لو كانوا قد كتبوا رحلات حج فإننا لم نعثر عليها حتى الآن . ومن الجدير بالذكر أن أول رحلات الحج الهندية كتبت باللغة الفارسية و ذلك في نهاية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي و أقصد بذلك رحلة الحج التي قام بها الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي " جذب القلوب إلى ديار المحبوب " ٩٩٨ هـ / ١٥٨٩ م ، " فيوض الحرمين " لشاه ولي الله الدهلوي ١١٦١ هـ / ١٧٤٨ م ، و " سوانح الحرمين " لرفيع الدين فاروقي ١٢٠١ هـ / ١٧٨٩ م و التي تعد أفضل رحلات الحج باللغة الفارسية في شبه القارة الهندية ، كما تعد رحلة " ترغيب السالك إلى أحسن المسالك " للأمير مصطفى خان شيفته ١٢٥٦ هـ / ١٨٤١ م في القرن التاسع عشر حلقة في هذه السلسلة .

و أحد أسباب عدم كتابة رحلات الحج الهندية الأولى باللغة الأردية هو أن اللغة الفارسية كانت أكثر اعتبارا و وقارا من اللغة الأردية في ذلك العهد ، فقد كانت الفارسية لغة الحكام و الخواص ، و الأردية لغة العوام ، و بالرغم من أن الإنجليز وقفوا ضد اللغة الفارسية إلا أن العوام و الخواص كانوا يفهمونها بسهولة ، و لهذا فإن رحلات الحج المكتوبة باللغة الفارسية كانت تقدم تصورا كافيا لإرشاد الحجاج . و السبب الثاني هو أن مسلمي شبه القارة الهندية الذين نالوا شرف الحج لم تكن لديهم موهبة كاملة فى بيان ذلك و ظلت العواطف و المشاعر قاصرة عن التعبير بألفاظ مناسبة و قد ظهر هذا السؤال بعد رحلة الحج و هو " ماذا رأى ؟ " و " ماذا وجد ؟ " هنا حلت الرواية التحريرية محل الرواية الشفهية و بدأ بعض الحجاج يكتبون انطباعاتهم عن الحج و هكذا ظهر إنتاج أدبي غزير في هذا المجال ربما تجاوز الآلاف من رحلات الحج ، و لكن عدد رحلات الحج الهندية الذي وصل إلينا و استطعنا الحصول عليه من المكتبات المختلفة يتجاوز مائتي رحلة و تتضمن بعض الرحلات دليل المسافر و مرشد الحاج و رفيق الحاج .

و الحقيقة الأولى التي تواجهنا في هذه الدراسة أن رحلات الحج الهندية منذ القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي و حتى القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي كان الهدف الأساسي لكتاب رحلات الحج هو جمع كتاب كدليل مرشد للحجاج في المستقبل يستعين به الحجاج في سفرهم و يجنبهم قدر المستطاع صعوبات السفر ، ففي رحلات الحج الأولية مثل " ماه مغرب " لحاجي منصب خان ، و " سراج الحرمين " لحاجي تجمل حسين ، و " سفر سعادت " لمجد الدين الفيروزبادي ، و " زاد غريب " للأمير محمد عمر علي خان و غيرها يغلب عليها هذا الطابع بشكل خاص حيث كان الاهتمام منصبا على ذكر الأدعية و كيفية أداء الحج و أركانه و ذكر الأحاديث الشريفة و الأقوال المأثورة في الحج إلى جانب الاهتمام بالجوانب المادية مثل وصف الطرق و مخاطرها و نفقات السفر .

و لما كانت الرحلة في ذلك العهد شاقة و الحالة السياسية مضطربة ، و الحكومة غير قوية و لا تسيطر على مجريات الأمور ، و الحالة الاقتصادية متردية لذا كان البدو يخرجون في أيام الحج للبحث عن رزقهم من الحجاج فكان السفر بقوافل الجمال محفوفاً بالمخاطر ، و قد قدم كل من خواجه حسن نظامي ، و مولانا عبد الماجد دريابادي ، و أمير أحمد علوي ، و حاجي أحمد حسين خان و إلياس برني العديد من الأحداث في رحلاتهم تبين حرص البدو على المال و الحصول عليه من الحجاج بطرق مختلفة . و لأن كاتب هذه الرحلات أديب و مفكر و مصلح و مؤرخ لذا لم تكن رحلات الحج التي قاموا بها مجرد حدود جغرافية و حسب ، بل وضعوا نصب أعينهم على تاريخ العهد الماضي و نتيجة لهذا نشأ نوع من الموازنة بين الماضي و الحاضر و احتوت رحلات الحج على عنصر البحث و التحليل و قد اهتمت الرحلة الآن بالجوانب السياسية و الاجتماعية و الحضارية و النهضة العمرانية التي حدثت في مكة المكرمة و المدينة المنورة بصفة خاصة ، و المملكة العربية السعودية بصفة عامة بعد توحيدها على يد الملك عبد العزيز بن سعود يرحمه الله .

و السمة الثانية لرحلات الحج في هذا العهد هي إرشاد الحاج في مناسك الحج و أحكامه و مسائله ، و استعانوا بالصور الفوتوغرافية من أجل التعريف بالأماكن المقدسة و فصلوا القول في الطرق و الدروب و المسالك لدرجة أن الحاج يستطيع أن يغلق عينيه و يسافر . و مما لا شك فيه أن كتاب " زبدة المناسك " لمولانا رشيد أحمد كنجوهي – الذي اعتمد فيه على كتب موثوق بها مثل " فتح القدير " و " الدر المختار" يكفي في هذا الباب . و هذا النوع من التأليف مكتمل في اللغة الأردية ، و رغم ذلك فإن أكثر الحجاج يعتبرون أن فريضتهم الدينية تحتم عليهم جمع مرشد مناسب للمناسك ، و لهذا فإن أكثر رحلات الحج في ذلك العهد مليئة بفرائض الحج و آدابه حيث وضحوا فيها الفرائض و السنن و المستحبات و فصلوا القول في الأدعية عند كل منسك من المناسك لذا نجد الجانب الإفادي في رحلاتهم واضح .

و قد قدمت الأحداث في رحلات الحج في ذلك العهد على طريقة اليوميات و من الناحية الفنية استعملوا أسلوب المذكرات بكثرة و كان هدفهم من ذلك تقديم أحوالهم من جانب علاوة على بيان مشاعرهم القلبية و تجاربهم الروحية . و هذا النوع من رحلات الحج به شوق و ذوق و تسنح الفرصة للقارئ أن يشارك في نفحات الحج من خلال مطالعتها و قد أضافت رحلات الحج الهندية في اللغة الأردية أبعادا جديدة للتاريخ في الماضي و الحاضر ، و كان الحاج في ذلك العهد يسافر في اتجاهات ثلاثة هي ، و الاتجاه الأول : صوب الكعبة و المدينة المنورة . و الاتجاه الثاني : نحو التاريخ الكامل للأراضي المقدسة و الأماكن التي أمضى فيها الرسول الكريم حياته . و الاتجاه الثالث : هو الحج الذي يعد مرآة لنفس الحاج نتيجة لهذا صارت رحلات الحج تحتوي على البحث و النقد بأسلوب متأدب و حسن بيان ، و وجد الحاج

فرصة لإظهار ذاته ، و الممتع في ذلك أن رحلات الحج لا تظهر فكرة تزيين الذات أو إظهار النفس ، بل على العكس من هذا تبدو ثمة إنكار الذات و نفي الأناني الغالبة و كذلك إظهار العبودية لله و طاعة الرسول .

و حدثت نقلة نوعية في رحلات الحج الهندية بعد تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتي الهند و باكستان ، فتناولت أقلام الرحالة جميع الجوانب الاجتماعية و السياسية و العمرانية في المملكة فنال توسعة المسجد الحرام و المسجد النبوي في أدوارها المختلفة من الملك عبد العزيز و الملك سعود حتى عهد الملك فهد بن عبد العزيز مساحة كبيرة من اهتمام رحلات الحج الهندية الحديثة . و نلمح عدداً من السمات في رحلات الحج الحديثة مثل : " لبيك " لممتاز مفتي ، و "روداد سفر حجاز" للدكتور نصير أحمد ناصر ، و " أرض تمنى" لغلام الثقلين فقوى ، و " الرحلة الحجازية لمحمد طفيل ، و " بمر سوى حرم " لصادق قريشى ، و " حديث دل " لعبد الله ملك . ففي هذه الرحلات يتجلى الإحساس بالتاريخ و الجغرافيا لدى هؤلاء الحجاج و لكن واردات القلب تجربة ذاتية . ٩٠

و في هذا العهد أصبح التاريخ الإسلامي جزءا من رحلات الحج الهندية وظهرت العديد من التساؤلات التي ترد على ذهن الإنسان المعاصر و لهذا نشأ التنوع في رحلات الحج و أضيفت إليها أبعاد فنية لم تكن من قبل ، و لهذا السبب فإن لكل رحلة تجربتها الشخصية الخاصة التي تؤثر في القراء بزاوية مختلفة عن رحلات الحج القديمة ، و لم تعد رحلات الحج مجرد ذكر للمناسك و وصف للوقائع و الأحداث ، بل صارت تقريراً يتوفر فيه الجانب العقلي و القلبي و الذهني للمسافر و ركزت رحلات الحج في العصر الحديث على النواحي الروحية و وصف التجربة الشعرية الفريدة لهؤلاء الرحالة في هذا السفرالمقدس ، و قام بهذه الرحلات علماء و رجال دين و أدباء و شعراء و كتاب قصة و رواية و مؤرخون و مصلحون ، و حدثت طفرة هائلة في أساليب اللغة الأردية التي كتبت بها هذه الرحلات مثل " جمال حرمين " و " منزل سعادت" لحافظ لدهيانوى ، و " مشاهدات حرمين " لأسعد جيلاني ، و " حرم مين دو سوروز" أي مئتا يوم في الحرم لشودرى محمد أسلم .

المبحث الثاني : نماذج من رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة .

تمهيد :

الحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام ، و تزداد أشواق المسلمين إليه بازدياد المسافة التي تفصلهم عن موقعه ، فيتجهزون له ، و يرحلون في قوافل تعبر السهول والقفار ، و قد تركب البحار و تتعرض للأهوال ، و ترتبط هذه الرحلة بالمشاعر الإيمانية العظيمة و يكون المسافر فيها مهيئا لاستقبال الأحداث التي تصادفه و التفاعل معهما بعواطف متوقدة ، و تتجرد هذه الرحلة غالبا عن الأهداف المادية الضيقة ، و تتسع آفاقها ، و يكون كل شيء فيها جديدا و مثيرا ، فإذا كان المسافر في هذه الرحلة صاحب قريحة متوهجة و صاحب قدرة على التعبير الأدبي عما يضطرب في وجدانه ، فلا بد أن يبدع عملا أدبيا متميزا ، و هذا ما حدث في تراثنا الأدبي على امتداد العصور الماضية و ما زال مستمرا في عصرنا الحديث ، و سيبقى كذلك ما بقي أديب مسلم ينفعل برحلة الحج و يصوغ انفعاله في قالب أدبي يخرجه للناس .

و كان الحج محور رحلات الحج على مر العصور و تشكل هذه المؤلفات أكمل تيار أدبي إسلامي في تراثنا الأدبي ، و قد استمر التأليف في رحلة الحج في عصرنا الحديث و ظهرت مؤلفات أدبية متميزة تعد من عيون أدب الرحلة في نتاجنا الأدبي ، و لم يقتصر أدب الرحلات الإسلامي – القديم و الحديث – على الأدب العربي بل امتد إلى آداب الشعوب الإسلامية الأخرى و منها الفارسية و التركية و الأردية حيث حركت رحلة الحج قرائح بعض الأدباء من أبناء تلك الشعوب و جعلتهم يسجلون أحداث رحلتهم و مشاهداتهم فيها و انفعالاتهم خلالها بلغاتهم المحلية ، فكونوا رصيدا من الإبداع الإسلامي الذي تحقق فيه جميع شروط النص الأدبي الإسلامي العالمي .٩١

و سأقدم فيما يلي نماذج من رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة ، و قد راعيت في اختيارها أن تمثل هذه الرحلات المراحل التاريخية و التيارات الفكرية المختلفة تمثيلا كاملا حيث تنوعت هذه النماذج بين رحلات قديمة و حديثة و نسائية و شعرية و خيالية و رحلات للأطفال .

أ - الرحلات القديمة : سوانح الحرمين (١٢٠١ هـ / ١٧٨٩ م)

وقع اختيارنا من بين رحلات الحج الهندية القديمة على رحلة " سوانح حرمين شريفين " لمولانا رفيع الدين المرادآبادى (١٢٠١ هـ / ١٧٨٩ م) لتقديم نماذج وافية منها هنا لعدة لأسباب أهمها أنها من أقدم رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة و الحجاز ، و قد كتبت قبل قرنين من الزمان ، كما أنها تعد نموذجا للرحلات الهندية الأولى التي كتبت باللغة الفارسية – لغة الأدب و العلم في ذلك الوقت – و قد تعددت مسميات هذه الرحلة فهي : " سوانح حرمين شريفين ، و هناك نسخة من الرحلة في مدينة رام بور بالهند عنوانها " آداب الحرمين " كما ذكر نواب صديق حسن خان القنوجى هذه الرحلة باسم " حالات حرمين " ، و نقلها إلى الأردية مولانا نسيم أحمد فريدي أمر و هي و جعل

عنوانها " مشاهدات حرمين شريفين " ، و ترجمها الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم إلى العربية بعنوان " الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية " ٩٢

و مؤلف الرحلة هو مولانا رفيع الدين بن فريد الدين المرادآبادى حفيد نواب عظمة الله خان الفاروقي حاكم مرادآباد ، ولد في مرادآباد سنة ١١٣٤ هـ ، و أخذ العلوم على يد العالم الهندي المعروف شاه ولي الله الدهلوي ، و ترك مؤلفات كثيرة منها : " سلوى الكئيب بذكر الحبيب " في السيرة النبوية ، و " شرح الأربعين " في الحديث ، و "تذكرة المشايخ " ، و " كتاب الأذكار" ، و " تذكرة الملوك" و غيرها إضافة إلى هذه الرحلة . و توفي مولانا رفيع الدين في الخامس عشر من ذي الحجة سنة ١٢٢٣ هـ عن عمر يناهز التاسعة و الثمانين و دفن في مرادآباد .

بدأ المؤلف رحلته من مسقط رأسه مرادآباد سنة ١٢٠١ هـ و عاد من رحلته سنة ١٢٠٣ هـ بعد رحلة استغرقت – كما ذكر – سنتين و شهرين و أسبوعين . يقول : " بدأت رحلتي إلى الحرمين الشريفين من مسقط رأسي " مرادآباد" – عمرها الله و حفظ أهلها من الآفاق و الفساد – صباح يوم السبت الموافق الثامن عشر من محرم الحرام سمة ١٠٢١ هـ " ٩٣

دون المؤلف مشاهداته في سفره البري و البحري من مرادآباد إلى أرض الحرمين مرورا بحضرموت و اليمن ، كما دون ملاحظات مهمة ، و حرص على التاريخ و التعريف بالبلدان ، و بقضايا فقهية و علمية كما استشهد في كتاباته بآيات الذكر الحكيم و بالحديث النبوي و بالأبيات العديدة من الشعر ، و اعتمد المؤلف بالإضافة إلى المشاهدات العينية على ما سمع من أخبار ، أو ما طالعه من رحلات سابقة ، أو كتب كتبت في موضوعات مختلفة تتعلق بموضوعه ، و وصف الطريق و الرفيق و وصف المدن و القرى ، و كتب عن الأمور الاجتماعية التي تضمنت وصفه للبشر و فئات المجتمع و طبقاته ، كما ذكر العلماء و الأدباء ، و المدارس ، و حلقات الدرس أينما ذهب و حل ، ليس هذا فقط بل كتب عن الأمور الاقتصادية في تلك الحقبة من الزمن ذاكرا الأسواق ، و العملات النقدية ، و البيع و الشراء و الكراء و حتى الصناعة و تطورها .٩٤

و يأخذنا كاتب الرحلة في رحلة برية ممتعة داخل الهند ، رحلة في الجغرافيا و التاريخ ، فهو لا يمر بقرية أو مدينة إلا و ذكر من كان يسكن فيها من ملوك مسلمين أو هندوس ولا يترك ضريحاً من الأضرحة إلا و توقف عنده ليصفه لنا و كأننا نشاهده عيانا و يذكر لنا المسافات بين القرى و المدن ففي طريقه إلى مدينة سورت مر بأجين ثم اندور و برهان بور ثم بهروج أجمل موانئ الكجرات على ساحل بحر العرب ، و توقف في ميناء " سورت" التي يسميها "باب مكة " لأن جميع الحجاج يستقبلون البواخر و السفن منها إلى مكة المكرمة . يقول : " لم يكن في المكان الذي تقع فيه مدينة سورت حاليا بيوت أو عمارات قبل قدوم خواجه ديوانه ، و لم يكن فيه من يقيم عليه أو يسكن على أرضه ، فقد كان خواجه ديوانه هو أول من اختار المقام في هذا المكان ، بعد أن اصطفاه الله بالولاية ، و منذ ذلك اليوم بدأ الناس يتوافدون على المكان ، يستوطنونه حتى صار المكان مدينة عامرة ، فيها من الآثار الإسلامية ما لا تراه في سائر أنحاء الهند ، كما أن ما بها من مساجد تشهد على عزة الإسلام ، لا يمكن أن يوجد له مثيل في ذلك الزمان في عموم الهند ، و يطلق على "سورت" أيضا " باب مكة" ٩٥

و تناول مولانا رفيع الدين سيرة علماء سورت بالتفصيل و العجيب أنهم جميعا ذهبوا للحج أكثر من مرة و تعلموا في الحرمين الشريفين و نالوا الإجازات العلمية ثم عادوا للتدريس في سورت وحضر كاتب الرحلة حلقة تدريسهم

و منهم مولوى ولي الله ، و العالم الجليل عبد الله التجرد و خواجه محمد دهدار ، و الشيخ خير الدين المحدث الســـورتي . يقول : " التقيت في سورت بالمحدث الشيخ خير الدين سلمه الله تعالى و اطال عمره ، و الشيخ خير الدين السورتي يجمع بين علم الظاهر و الباطن ، و قد حضرت له " حلقة درس الحديث" ، فتعلمت منه أحاديث الرسول (صلى الله عليه و سلم) فالشيخ يمتد نسبه إلى الرسول ، و قد سافر إلى الحرمين مرتين ، ثم عاد و عكف على تدريس الحديث النبوي نحو نصف قرن من الزمان ، فتخرج من مدرسته في علوم الشريعة و الطريقة كثيرون ، و هو الآن ملاذ لكل مـــن يقصـــد الحـــرمين الشريفين ، و قد وهبه الله عزة و كرامة ، فنال احترام الحكام ، و كانوا يلجأون إليه ويستشيرونه في كثير من الأمور ، و يراسلونه و من بينهم سلاطين الدكن وشريف مكة " ٩٦ .

و غادر مولانا رفيع الدين " سورت " راكبا " سفينة الرسول " واصفا الطريق البحري إلى مكة المكرمة و الجزر التي مر عليها مثل جزيرة "سقطرى" و "هائي شامي " مرورا بعدن و منحا وجبل الذكر ثم الحديـــدة و جزيـــرة كمران و قنفذة إلى أن وصل إلى " يلملم " حيث أحرم منها . يقول : " و في ضحى يوم الاثنين الرابع عشر من شوال ألقينا عصا الترحال عند بيت الله الحرام ، زاده الله كرما و تشريفا . و تجلى لي جمال الكعبة ، ألقيت عليها نظرة واحدة ، فإذا بمتاعب السفر قد زالت و إذا بمصائبه قد تلاشت ، و لم أعد أشعر بما كنت أعاني من مشقة ، نتيجة المشـــي علـــى الأقدام بملابس الإحرام ، تحت وهج الشمس المحرقة ، و على الرمال الحمراء الملتهبة ، مسافة تزيد على اثني عشر كيلومترا ، إن نظرة واحدة لجمال الكعبة المشرفة أزالت عني جميع متاعبي السابقة ، و سوف تزول بإذن الله أية متاعب لاحقة إلى أن يتوفاني الله رب العالمين " ٩٧ .

ثم تحدث المراد آبادي بالتفصيل عن هذه التجربة الإيمانية وتوفيق الله له بشرف دخول الكعبة والصلاة فيها، وتحدث عن مواعيد دخول الكعبة والصلاة على المذاهب الأربعة داخل المسجد الحرام. ثم تحدث عن مناسك الحج في منى وعرفات ومزدلفة وتناول الحديث عن نهر زبيدة ومساهمة سلاطين المسلمين في تأسيس المدارس والرباطات التي أوقفوها على الحرمين الشريفين ثم ذكر أشراف مكة وفصل الحديث عن الشريف سرور بن مساعد الذي كان شريفاً لمكة عندما زارها.

وركز مولانا رفيع الدين على ذكر سيرة علماء مكة وأعيانها فذكر منهم: مولانا السيد محمد المغربي والشيخ عبد الوهاب، والسيد حسين المفتي المالكي، والسيد عقيل، والمفتي عبد الغني الشافعي، والمفتي عبد الملك الحنفي وهو من المجاورين في مكة، وملا مرداد "وهو بنجابي الأصل، مكي المولد، ماهر في فن القراءة، فريد زمانه، ووحيد عصره، وهو بحر في علم الحديث"، ومولوي محب الله تلميذ مولوي عبد العلي وهو "متبحر في مختلف العلوم الدينية، ويتصف بالأخلاق الفاضلة وهو مجاور في مكة منذ سنوات" ٩٨ ومولانا محمد مراد السندي وكان عالما تقيا، متبحراً في العلوم، قدم من السند إلى الحرمين الشريفين.

وقد أثنى مولانا رفيع الدين على طرق التدريس في مكة المكرمة. يقول: "أما طريقة التدريس في مكة، فيقوم منها الطلاب بالجلوس حول شيخهم الذي يفتح كتابه الذي يمسكه بيده، ويبدأ في القراءة والشرح، فإذا ما واجه أحد الطلاب أمراً صعباً أو شبهة ما، استفسر من شيخه، فيجيبه الشيخ ويشرح له ما أبهم عليه، أما أسلوب قراءة التلميذ على الأستاذ فهو أمر نادر" (٩٩).

وأشار المؤلف إلى أخلاق أهل مكة الطيبة وبعض عادات أهلها. يقول: "جميع أهل مكة – العامة والخاصة – يتحلون بالأخلاق الفاضلة وبحسن المعاملة، فكبار القوم هنا والعلماء يعاملون المسافرين والغرباء معاملة طيبة تتصف بالتواضع الجم

وحسن الخلق، كأنهم لم يسمعوا عن الغرور والكبر، مع أنهم من العلماء الكبار ومن أهل الفضل والشرف. سألت عن الخطوط التي تشاهد في وجوه أهل مكة، فعلى خدودهم تشاهد ثلاثة خطوط، فقيل لي: إنها عادة راجت بينهم منذ زمان، فكان أهل مكة إذا ولد لهم مولود يبضعون جلد خديه بالموسى، بعد مضي أربعين يوما على ولادته، وهذه الخطوط الثلاثة تكون على خديه تحت العين، فيبقى أثرها على وجهه إلى آخر العمر فيميزه عن غيره من مواليد المدن الأخرى"...(١٠٠)

وفى صباح يوم الاثنين السادس من ربيع الأول وصلت القافلة إلى المدينة المنورة وحضر خطبة الجمعة في المسجد النبوي ووصفها لنا، وذكر لنا بعضاً من عادات أهل المدينة فيقول: "من عادات أهل المدينة المنورة أن تأتي الأم بمولودها الجديد إلى الحرم النبوي في أحد أيام الخميس بعد أربعين يوما من مولده، فيحمله الحبشي الذي يقوم بالخدمة في المكان المخصص للنساء إلى داخل المقصورة، فيقف قبالة وجهه الشريف – صلى الله عليه وسلم – ويدعو للطفل أن يبارك له الله في عمره وأن يجعل أعماله صالحة خالصة لوجه الله". (١٠١)

ويتناول المؤلف الجوانب السياسية في مكة المكرمة والمدينة المنورة بعد وفاة الشريف سرور شريف مكة في الثامن عشر من ربيع الثاني سنة ١٢٠٢هـ، وتعيين شريف جديد لمكة هو الشريف غالب، ويذكر بعض علماء المدينة المنورة منهم الشيخ عثمان الحنفي المصري، والشيخ صالح المالكي المغربي والشيخ السيد أحمد جمل الله، والشيخ محمد عابد السندي ابن الشيخ محمد حياة السندي، والسيد مصطفى الحلبي القادري. وذكر مجالس العلم وذكر في المسجد النبوي الشريف. يقول: "في المسجد النبوي الشريف ثلاثة أنواع من المجالس. الأول: مجالس الوعظ ويعقدها بعض الفضلاء. والثاني: مجالس الدرس والتدريس، ويعقدها بعض العلماء فيدرسون فيها كتب التفسير والحديث وكتب الفقه. والثالث: مجالس التدريس على طريقة التذكير" (١٠٢)

وتطرق مولانا رفيع الدين إلى الحياة الاجتماعية في المدينة المنورة فيقول: "أهل المدينة المنورة وإن كانوا ميسوري الحال إلا أنهم يتكلفون في طعامهم وشرابهم، ولا يظهرون لأحد ضيق ذات اليد، ولا يشتكون لأحد قلة معيشتهم، وهذا من أثر دعائه صلى الله عليه وسلم لهم بالبركة في أموالهم وفي مدهم، وفي صاعهم، وجميع سكانها يتخلقون بحسن الخلق، ويتصفون بطلاقة الوجه ومكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وكيف لا؟ وهم جيران صاحب الخلق العظيم". (١٠٣) وبعد أن تحدث عن المهاجرين الهنود إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة قال: "في الوقت الحاضر لم يبق في الحرمين الشريفين أحد من سكان البلاد الأصليين الذين سكنوا البلاد في عهد النبوة، أما أسرة الشيبي صاحب مفتاح الكعبة، فلا يزال منهم عدد قليل جداً لا يتجاوز عدد الأصابع، يقيمون في مكة المكرمة، أما الأنصار في المدينة المنورة فبيوتهم في المناخ خارج جدران المدينة المنورة بجوار مصلى العيد، وقد تعرفت عليهم، أما سكان الحرمين: فمنهم أبناء من هاجروا وأقاموا في منطقة الحرمين منذ القديم، أو منذ عهد متأخر ومنهم العرب ومنهم العجم. ويحتل مهاجرو الهند والسند أعلى نسبة في المهاجرين من غير الدول العربية، وبالتالي يكثر عدد من يتكلم اللغة الأردية، في حين يقل عدد من يتكلم اللغة الفارسية، وأكثر تجار مكة وجدة من طائفة "البهرة" الذين هاجروا من أحمد آباد وبتنه. ونتيجة لهذا الاختلاط طرأ على اللغة العربية الفصحى التحريف فلم تعد اللغة التي تستخدم بين الناس اليوم تتوافق مع قواعد الصرف والنحو، ومن الضروري أن يبعث سيبويه من جديد، حتى يكتب من جديد قواعد اللغة على حسب ما تعود عليه الناس". (١٠٤)

ولم ينس المراد آبادي الحديث بشكل مفصل عن البيع والشراء في الحرمين والعملات المستخدمة في التعامل بين الناس مع مقارنتها بالروبية الهندية، "وفي غرة ربيع الثاني ١٢٠٣ هـ وصلت مدينة "مراد آباد" من حيث خرجت، وهنا ألقيت عصا الترحال بعد الرحلة استغرقت سنتين وشهرين وأسبوعين فالحمد لله". (١٠٥)

ب الرحلات الحديثة:

"ديار عرب مين جند ماه" أي "شهور في ديار العرب" ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

تعد رحلة "شهور في ديار العرب" لمسعود عالم الندوي من رحلات الحج الهندية الحديثة، وهي نمط جديد من أدب الرحلة يجعل منها وثيقة تؤرخ لتاريخ الجزيرة العربية بجوانبها المتنوعة وتتسم بميزة جديدة هي أن المؤلف الذي بدأ رحلته في ٢٨ جمادى الآخرة، ٢٨ أبريل ١٩٤٩م قد سلك طريقا جديدا يختلف عن الحجاج الهنود الذين سبقوه وهو السفر البحري من كراتشي إلى رأس الخيمة ومنها بالطريق البري إلى العراق ومنها إلى الكويت ثم نجد فالرياض ثم توجه بعد ذلك إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة. وهذه الرحلة نموذجا للرحلات الرسمية: و"العلامة مسعود عالم الندوي من كبار علماء الهند جذبته ديار نجد، وأهلها، لأسباب عديدة، يأتي في مقدمتها الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب فاشتاق الرجل إلى لقاء علماء نجد، ليعرف منهم المزيد عن سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ونزل ضيفا في الرياض على حكومة جلالة الملك والتقى بالملك عبد العزيز وولي عهده في الثامن من ذي القعدة ١٣٦٨هـ/الأول من سبتمبر ١٩٤٩م". (١٠٦)

وكانت هذه الرحلة لعالم مسلم جليل، وباحث ومحقق لا يهتم فقط بجغرافية الجزيرة العربية، وبسكانها وبصحرائها وجبالها وواحاتها، بل يخرج في رحلته واضعا أمام عينيه هدفا محددا يرمي إلى تحقيقه. والشيخ مسعود عالم الندوي عالم بالأردية وأديب عشق اللغة العربية منذ نعومة أظافره، وظل دائما على صلة بالعرب والبلاد العربية، لكن هذه الرحلة إلى الجزيرة العربية كانت أول اتصال مباشر له بالعرب والبلاد العربية، وقد رجع من الرحلة في ٢٢ صفر عام ١٣٦٩هـ ديسمبر ١٩٤٩م. (١٠٧)

وصل الندوي إلى مكة المكرمة عن طريق الطائف في الحادي والعشرين من ذي القعدة، فقضى شعائر الحج، وقصد المدينة المنورة للزيارة في الرابع من محرم عام ١٣٦٩هـ. وفي مكة التقى بالعلماء من جميع أنحاء العالم، والتقى بأدباء العالم الإسلامي، كما التقى بالسفراء وأمراء الحج، وسعد بلقاء جلالة الملك عبد العزيز مرة أخرى واحتك بطائفة المعلمين والمطوفين وصبيانهم، وتعامل مع أصحاب الحوانيت والمكتبات وأصحاب المدارس الدينية وغيرهم وكذا الحال في المدينة المنورة وقد وصف كل هؤلاء، باختصار تارة وبإسهاب تارة أخرى.

وصف المؤلف الإصلاحات التي قامت بها حكومة جلالة الملك عبد العزيز من أجل رفع المستوى الثقافي والتعليمي، والتقى بكبار علماء نجد في مكة يقول: "جلسنا على سطح البيت، كانت الجلسة على الطريقة العربية، وكان من بين الحضور الأخ الثاني للشيخ وهو عبد الله بن إبراهيم، وعبد اللطيف بن إبراهيم، وعبد الملك بن إبراهيم "إمام مسجد القصر الملكي" كما قدم أيضا أحد تلاميذ الشيخ وهو عالم ممتاز يدعى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله . (١٠٨)

وصل مولانا مسعود عالم الندوي إلى مكة المكرمة والتقى بعدد من الهنود المكيين نذكر منهم الشيخ عبد الرحمن مظهر وأخاه الأكبر عبد الله مظهر وأخاه الأصغر محمد مظهر ومولانا عبد الوهاب الدهلوي كما زار المدرسة الفخرية وكان مولانا سيد سليمان الندوي (رئيس وفد جمعية الخلافة الذي قابل الملك عبد العزيز ليبلغه تأييد مسلمي الهند له بأن يصبح خليفة للمسلمين) قد زار المدرسة الصولتية والتقى بمديرها الهندي المكي محمد سليم وبالدكتور زين العابدين الندوي، كما أدى

مناسك العمرة. يقول الندوي عندما اقترب من مكة المكرمة: "الله! الله! بدت لنا حدود مكة من بعيد لبيك اللهم لبيك... مرت العربة بنا أمام مركز الشرطة وعلمنا أن الشيخ عبد الرحمن مظهر قد سأل عن العبد الفقير لعدة مرات، ووصلتنا رسالة تفيد أن السيارة ستكون في انتظارنا في مكتب البريد فاطمئن قلبي كثيرا... لابد أن بيت الله لا يبعد عن هنا... أربكتنا المباني العالية من جميع النواحي، لكن كل شبر من هذه الأرض مقدس، وكل شبر حرم، وكل ما فيها يخلب اللب، ويستهوي القلب، ولا يمكن للعطش الذي استمر طويلا أن تطفئه نظرة أو نظرتان، على كل حال وصلنا إلى نقطة شرطة المعايدة وتم فحص ومراجعة أوراق الحجاج، جاء هاتف عبد الرحمن مظهر وتوقفت العربة في مكتب البريد حيث كانت سيارة عبد الرحمن مظهر في انتظارنا، وصلنا بيته فاستقبلنا استقبالا حارا، ورحب بنا بحب، وهو في الأصل من مدينة أعظم كره، ولد في مكة المكرمة، فقد هاجر والده من الهند واستقر في مكة، أما أخوه الأصغر محمد مظهر فقد درس في ندوة العلماء، وأخوه الأكبر عبد الله مظهر هو مدير رباط "بهوبال" وهو يساعد أخاه في وظيفة "الطوافة".

وفي عشر دقائق تقريبا كنت قد وصلت إلى باب السلام، واضطرب القلب، فقد بدت الكعبة أمامي، واتجهنا مباشرة إلى الحجر الأسود، كان هناك هجوم للفراشات على الشمع، وكان الحرم بأكمله بقعة من نور، تحوم حولها فراشات التوحيد، ووسط المنزل المعمور بالنور نقطة سوداء تبدو أكثر البقاع ضياء، وعلى حافة هذه النقطة كانت الفراشات تدور وتدور، فدخلنا نحن أيضاً في هذا المجال وأخذنا بدورنا ندور وندور". (١٠٩)

ويصف لنا المؤلف اللقاء الذي تم بينه وبين أحد المهاجرين الهنود فيقول: "قبل المغرب التقينا بمولانا عبد الوهاب الدهلوي، وهو من سكان دهلي، وتاجر ناجح، تقيم أسرته هنا منذ فترة طويلة، والدهلوي صار الآن لقباً ليس إلا، ومولانا عبد الوهاب رجل يتصف بالعلم الوافر والاطلاع الواسع، رجل متزن، قليل الكلام، محبوب لدى جميع الناس، والكل يثني عليه ويمتدحه، عنده مكتبة جيدة، فيها كتب متنوعة، وهي المكتبة التي يمكن أن نطلق عليها بحق كلمة مكتبة، من بين مكتبات مكة، كنت قد التقيت به في لكهنو قبل حوالي خمس عشرة سنة، وهو مشترك دائم في "الضياء" تصله بانتظام، كانت صلاة المغرب قريبة ولهذا لم نتمكن من الاستمرار في الحديث". (١١٠)

وباح الندوي بتجربته الإيمانية عند زيارته للمدينة المنورة في يوم الخميس ٥ محرم ٢٧/١٣٦٩ أكتوبر ١٩٤٩م. والتقى بعدد من العلماء المسلمين من الهند وتركيا والمغرب ومصر وزار مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت والمدرسة الشرعية. يقول عندما اقترب من المدينة المنورة: "وصلنا إلى "ذي الحليفة" (ويقال لهذا المنزل أيضاً آبار علي) حين سمعت الاسم، بدأت دقات قلبي تسرع وتسرع، فها قد وصلنا إلى ميقات أهل المدينة... ومن هذا المكان أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته للحج، صحابته الذين كانوا يفتدونه بأرواحهم، رغبت من أعماق قلبي أن أغتسل وأغير ملابسي، وانطلق من هذا المكان إلى المدينة ماشيا على الأقدام، لكن الوهن والضعف الذي زاد عن الحد منعني وجعلني لا أجرؤ على هذا الأمر... مضت القافلة وابتعدت عن "ذي الحليفة" وبعد قليل صاح السائق: انظروا... رفعنا أعيننا، وأخذت العيون المغرورقة بالدموع تلقى بالسلام على الحرم النبوي من بعيد، وكلما اقتربنا من الهدف المنشود زدت غرقا في حالة من الذهول والحيرة". (١١١)

وزار مسعود عالم الندوي مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت يوم الثلاثاء ١٠ محرم ١٣٦٩هـ/أول نوفمبر ١٩٤٩م. يقول: في الصباح زرت مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت الشهيرة، التي أسسها شيخ الإسلام التركي عارف حكمت منذ مائة سنة تقريباً، ولا يوجد بالمملكة العربية السعودية مكتبة تماثلها من ناحية ما تضمه من نوادر ومخطوطات،

وقد خصص لها شيخ الإسلام مبنى رائعا ضخماً، ووقف للإنفاق عليها ممتلكات كثيرة في البلقان ووسط آسيا، إلا أن الممتلكات التي كان وقفها في البلقان ضاعت قبل الحرب العظمى، كما صودرت بقية الممتلكات بعد الانقلاب التركي، كان يعمل بالمكتبة عدد لا بأس به من الموظفين، ولا يوجد الآن سوى مديرها الشيخ إبراهيم حمدي، الذي يحتل وظيفة تتقلدها الأسرة من عهد جده، ومنذ أكثر من عشر سنوات تدهورت الحالة المالية للمكتبة، فقدم إبراهيم حمدي إلى الهند، وقد استضفته في مسكني الملحق بمكتبة بتنه الشهيرة وعاد الشيخ بعد أن تلقى وعداً بإرسال مساعدات شهرية معقولة من حيدرآباد وبهوبال ولا تزال هذه المساعدات تصله حتى الآن". (١١٢)

وفي النهاية زار المؤلف "المدرسة الشرعية التي بناها مولانا سيد أحمد شقيق مولانا حسين أحمد الأكبر، والقائم على أمورها الآن هو سيد محمود شقيق مولانا حسين أحمد الأصغر، والمدرسة بحالة طيبة، ويعد سيد محمود من أثرياء المدينة، وابنه الآن هو مدير المدرسة، والأمر يتم بالوراثة كما هو الحال في المدرسة الصولتية. (١١٣)

(حـ) الرحلات النسائية:

رحلة سلطان جهان بيجم أميرة بهوبال للحجاز عام ١٣٢١هـ/١٩٠٣م.

نالت المرأة الهندية شرف كتابة رحلاتها إلى مكة سواء كانت زوجة عادية مرافقة لزوجها أو أميرة عظيمة لأعرق إمارة إسلامية في الهند، ونذكر هنا نماذج من هذه الرحلات، فقد قامت سلطان جهان بيجم أميرة إمارة بهوبال في الهند برحلة إلى الحجاز وألفت كتاباً شيقاً عن هذه الرحلة وعن الصعاب والخطوب التي كان الحاج يمر بها منذ قرن من الزمان حيث كان يسافر المسافر وقلبه يخفق من المخاطر المحدقة به وفي هذا عبرة للحجاج الذين يسافرون للحج هذه الأيام بيسر وسهولة وبيان الكم الهائل من التحسينات التي قامت بها الأسرة السعودية وهي طفرة هائلة من حيث الكم والكيف ولا تخطئها عين. إلى جانب الأمن والأمان الذي يشعر بهما كل من يزور الحرمين الشريفين الآن. وقد تولت الأميرة سلطان جهان بيجم حكم إمارة بهوبال (١١٤) خلفا لوالدتها الأميرة شاهجهان بيجم في ١٦ يونيو ١٩٠١م (١٣١٩هـ). تقول في كتابها "جوهر إقبال: "كنت أتحرق شوقاً للحج وزيارة روضة الرسول صلى الله عليه وسلم" (١١٥).

طلبت الأميرة سلطان جهان الإذن من الحكومة الإنجليزية للسفر للحج وطلبت منها مرافقاً للسفر معها إلى ينبع وجدة والمدينة ومكة المكرمة وأن يتم استثناؤها من إجراءات الحجر الصحي الطويلة حيث كانت تجري للحجاج الهنود مرتين. الأولى في ميناء بومباي والثانية في ميناء كامران طبقاً لمعاهدة الأمم المتحدة الخاصة بالصحة، وكذلك طلبت من الحكومة التركية التي كانت تحكم الحجاز آنذاك أن تسمح لها باصطحاب حرس وجنود مسلمين معها ولكن الباب العالي لم يسمح بذلك ووعدها بحراستها بجنوده. (١١٦)

استأجرت الأميرة باخرة كبيرة وكان معها ثلاثمائة حاج وأربعون فرساً، وقامت الأميرة بعد أن تمت هذه المراحل بمراسلة بعض الشخصيات المهمة في الحجاز حتى يسهلوا إجراءات السفر والإقامة لها وأرسلت لهم الهدايا مع رسلها مولوي ذو الفقار أحمد النقوي ومولوي أعظم حسين وأحمد شكري أفندي وكانوا موظفين لديها في الإمارة فأرسلتهم إلى السيد الشريف عون الرفيق باشا أمير مكة المكرمة، وكان له علاقات ممتازة مع إمارة بهو بال منذ عهد الأميرة إسكندر جهان بيجم. والسيد أحمد راتب باشا حاكم الحجاز، وكان قبل تعيينه حاكماً زار بهوبال واستمرت علاقته بالإمارة، والسيد عثمان باشا شيخ الحرم المدني والسيد حسن مظفر شاه حاكم المدينة المنورة.

تحركت الباخرة "أكبر" التي استأجرها الأميرة من بومباي في عام ١٣٢١هـ/يوم الجمعة ٣٠ أكتوبر ١٩٠٣م ورست الباخرة في ميناء عدن في الساعة الحادية عشر ليلاً السابع من نوفمبر ١٩٠٣ وتسلم قبطان الباخرة برقية من السيد ديوى قنصل جدة يخبره فيها بأن تصل باخرة سمو الأميرة سلطان جهان إلى جدة مباشرة ولا تتوقف في كامران. (١١٧)

كانت الأميرة سلطان جهان تريد التوجه أولاً إلى المدينة المنورة ومن ثم إلى مكة المكرمة وبقي على حلول رمضان المبارك يومان فقط، وحضر إليها بعض العسكريين والسيد علي يمني القائم بأعمال المحاكم بجدة والمسؤول الطبي عن الباخرة للسلام عليها وأخبروها أن السلطان المعظم مهتم بها وبحراستها وأمر بإرسال مدفعين وسبعمائة جندي تركي معها. وفي اليوم الثاني ركب أحمد أفندي وسليمان أغا باخرتها مع مائة وأربعة وتسعين جنديا والأشراف الأربعة المرسلين من قبل السيد شريف مكة، وغادرت الباخرة ميناء جدة يوم الجمعة ٢٩ شعبان ١٣٢٠هـ/٢٠ نوفمبر ١٩٠٣م وبعد أربع وعشرين ساعة رست الباخرة في ينبع واصطف المسؤولون الأتراك عندما رأوا الباخرة وجمعوا العساكر وقدموا إليها السلام الرسمي على الميناء وأطلقت المدفعية إحدى وعشرين طلقة وكان على رأس المستقبلين لها مصطفى أفندي القائم بأعمال ينبع، ثم استأجرت الأميرة بيتاً قرب الساحل بستمائة روبية فأقامت فيه وأرسل لها مصطفى فرحت باشا مياه المدينة ورمانها وتمورها.

وفي السابع من رمضان المبارك غادرت قافلة الأميرة إلى المدينة المنورة ومرت في طريقها بمحصلي ، وبئر سعيد وعين الحمراء وبئر عباس ثم قرية خيف وكانت سوقاً كبيرة للشعير.

وغادرت القافلة في صباح ١١ رمضان بئر عباس متوجهة إلى المدينة المنورة، وكان في استقبالها الميجور كريم بك والكابتن محمد حسين خان والقاضي والمفتي وبعض المسؤولين في الجيش. وفي ١٣ رمضان ١٣٢١ هـ الموافق ٢ ديسمبر ١٩٠٣م جاء ختن شيخ الحرم للقاء الأميرة في الثامنة صباحاً وتم الحديث بينهما عن طريق المترجم السيد ياسين، وبعد ذلك وضعوا المحامل على الإبل وتوجهوا إلى المدينة المنورة وكلهم شوق ودخل الركب المدينة المنورة وتمت مراسم الاستقبال وكان على رأس مستقبليها حاكم المدينة حسن مظفر باشا ومالك خزائن الحرم الشريف. تقول الأميرة: "كنا نشم رائحة زكية في هذه الساحة فكانت تعطر أذهاننا ولما تقدمت القافلة ظهرت آثار المدينة المنورة بوضوح ترجل أكثر من في الركب احتراماً، ونزلت الأميرة في خيمة نصبت لها خصيصاً قابلت فيها مشايخ المدينة المنورة ثم وصلت إلى بيت السيد صافي للإقامة به. (١١٨)

كان بيت السيد صافي بعيداً عن الحرم، وكان هدف الأميرة بالمدينة المنورة هو حضورها إلى الحرم الشريف لذلك انتقلت إلى بيت آخر قرب الباب المجيدي في ١٥ رمضان المبارك فأخذت تحضر معظم الصلوات في المسجد النبوي، وقد رتب لها شيخ الحرم أن تكون بمفردها عندما تحضر بعد العشاء فكانت تحضر كل يوم بعد العشاء، وعندما حضرت للمرة الأولى استقبلها على الباب شيخ الحرم والقاضي والمفتي، وقد وجهت الدعوة للأميرة بحضور المآدب التي أقامها لها وجوه المدينة المنورة وعلى رأسهم علي زاهر الوتري والسيد صافي وشيخ الحرم.

وطلب الأمير نصر الله خان ولي عهد الإمارة من أمه الأميرة أن تشتري له خيولا عربية أصيلة فاشترت له الأميرة اثني عشر من الخيل النجدية من الشيخ عبد العزيز بن رشيد النجدي.

كانت الأميرة تنوي الذهاب إلى مكة المكرمة من نفس الطريق التي جاءت منه ولكن الأخبار وصلتها بأن البدو يريدون الوقوف في وجه قافلتها فحثها شيخ الحرم أن تسافر إلى مكة المكرمة عن طريق البر مع القافلة الشامية فلا يكون خطر البدو، فقبلت مشورته.

وفي ١٦ ديسمبر ١٩٠٣ أبلغ القنصل البريطاني مستر ديوى الأميرة سلطان جهان أن سفير الإمبراطور إدوارد السابع لدى القسطنطينية أبرق إلى السلطان المعظم بوصولك بخير إلى المدينة المنورة وأن السلطان المعظم أبرق إلى محافظ المحمل الشريف السيد عبد الرحمن باشا ومسؤول القافلة الشامية باصطحاب سمو الأميرة إلى مكة المكرمة في حراسة مشددة.

وفي تلك الأثناء عينت الأميرة محمد حماد مطوفاً وكان اسمه أبو الجود فعينته الأميرة على ثلاثين روبية خوفاً من غضب شريف مكة.

وقبل مغادرة الأميرة المدينة المنورة أقام حاكمها مأدبة كبيرة لها. وفي ٢٧ من ذي القعدة ١٣٢١هـ الموافق ١٣ فبراير ١٩٠٤م أحرمت الأميرة ومن معها وألقوا السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرجوا بعد العصر من المدينة المنورة مع القافلة الشامية، ومرت من طريق "تبريز" ثم "بئر علي" وفي يوم ٢٨ ذي القعدة غادرت القافلة إلى مكة المكرمة، وكانت هناك مخاطر في طريق ينبع والمدينة المنورة إلا أن الأمير عبد الرحمن باشا نجح بالوصول بها إلى مكة في أمان.

وفي ٦ من ذي الحجة الموافق ٢٣ من فبراير ١٩٠٤م دخلت قافلة الأميرة مكة المكرمة وجاء حاكم الحجاز أحمد راتب باشا وشريف مكة عون الرفيق باشا مع جماعة من الجنود الأتراك لاستقبالها، وقدم إليها السلام العسكري ومظاهر التكريم الأخرى واصطحبها إلى مقر إقامتها في بيت الأستاذ أحمد لاو. وأرسلت ابنيها الأميرين إلى بيت حاكم الحجاز وأمير مكة للقائهما، وفي أثناء إقامة الأميرة في مكة المكرمة زارها عبد الرحمن باشا حاكم دمشق وأحمد راتب باشا حاكم الحجاز والشيخ محمد صالح الشيبي والسيد علي باشا المصري مع زوجاتهم. (١١٩)

ثم ذهبت الأميرة إلى الحرم الشريف لطواف القدوم والسعي لأداء مناسك الحج وذهبت إلى عرفات في الثامن من ذي الحجة وحجت يوم التاسع من ذي الحجة ثم رجعت إلى مكة المكرمة في ١٢ من ذي الحجة بعد تأدية مناسك مزدلفة ومنى. ولم يقبل حاكم مكة المكرمة أجرة البيت الذي أقامت فيه وقال لها: إن أخذ أي فلس كأجرة للبيت يكون عاراً للسلطة العثمانية.

وفي ٢٢ من ذي الحجة الموافق ١٠ مارس ١٩٠٤م غادرت الأميرة وقافلتها مكة إلى جدة ورتب حاكم الحجاز أحمد راتب باشا للأميرة الإقامة في بيت في"بجيرا" وكان مريحاً تقول عنه الأميرة: "في الرجوع من مكة تملكنا التعب والنصب واسترحنا في هذا البيت الذي لم يكن أقل بحال من الأحوال عن "صدر منزل" أي قصر الأميرة في بهوبال.

وفي يوم ٢٥ من ذي الحجة الموافق ١٣ مارس ١٩٠٤م غادرت الباخرة "أكبر" جدة بعد وداع رسمي من القنصل البريطاني في جدة ونائب القنصل الدكتور محمد حسين والسيد جي بي ديوى ووصلت الباخرة بومباي في ٧ محرم ١٣٢٢هـ/ الموافق ٢٥ مارس ١٩٠٤م. (١٢٠)

وقد توالت رحلات الحج النسائية إلى مكة المكرمة، ومن أهم هذه الرحلات رحلة محمودة عثمان حيدر "مشاهدات بلاد إسلامية" وكانت قد سافرت مع زوجها سيد عثمان حيدر للحج وزيارة الأماكن المقدسة والبلاد الإسلامية في الشرق الأوسط وكان زجها يعمل موظفاً في شركة البترول الإنجليزية الإيرانية وتتميز الرحلة بأنها من تأليف سيدة رأت الأحداث بعين المرأة وقدمت معلومات مفيدة جديرة بالاهتمام. (١٢١)

ثم جاءت رحلة "أرض مقدس"لكنيز محمد بيجم كنموذج لرحلة سيدة شرقية للحج عام ١٩٦٤ وقد اجتهدت في وصف مكة والمدينة من جانب المرأة وكانت صادقة في وصفها. (١٢٢)

وتحدثت وحيدة نسيم في رحلتها للحج "حديث دل" أي حديث القلب عن استمتاعها بأداء الصلوات والعبادات في الحج وفي مكة وهو ما لم تشعر به من قبل، وقدمت وصفاً ممتعاً للحياة الاجتماعية في مكة والمرأة المكية. (١٢٣)

ومع أن سيدة حميدة فاطمة حاولت في رحلتها "لاهور سي ديار حبيب تك" أي من لاهور إلى ديار الحبيب تقديم مشاعرها الخاصة لكن رحلتها تعد حلقة ذهبية في سلسلة رحلات الحج القديمة وقدمت فيها علاوة على تفاصيل الرحلة أركان الحج ومصطلحاته والأماكن المقدسة بالتفصيل وتناولت تاريخ الحجاز ومكة المكرمة تقول: "عندما وصلت إلى مكان الصفا والمروة رجع ذهني آلاف السنين ورأيتها بعين تخيلي، أب مع ابنه الرضيع البالغ من العمر عامين وزوجته في السبعين من عمرها وقد هاجروا من الشام إلى الحجاز حتى وصلوا إلى هذا الوادي بعد طي الصحارى والقفار، ذلك الوادي الذي يصفه القرآن الكريم بأنه "وادٍ غير ذي زرع" الأم تشعر بالجوع والعطش من ناحية، والابن عطشان وهي تحاول أن تسليه لينسى العطش". (١٢٤)

وقامت زبيدة برحلة حجازية سنة ١٩٨١م وهي "زهي نصيب " يا للسعادة تناولت فيها أركان الحج وتاريخ الحجاز ومكة المكرمة وسيرة الرسول العطرة. (١٢٥)

(د) الرحلات الشعرية:

كان للشعر نصيب واف في رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة حيث فاضت قرائح شعراء شبه القارة الهندية بلواعج أشواقهم نحو مكة المكرمة والمدينة المنورة وقبر الرسول والروضة الشريفة وأنتجوا نماذج جيدة من رحلات الحج الشعرية صاغوها في قوالب شعرية تناسب هذه الأحداث مثل المثنوي والمسدس والقطعة والرباعية، وبالطبع كانت هذه الرحلات الشعرية أقل عدداً من رحلات الحج النثرية وذلك لأن هذا النوع من الرحلات لا يستطيع صوغه إلا الشعراء الفحول.

وتعد رحلة الأديب الشاعر ماهر القادري "قافلة الحجاز" من رحلات الحج الشعرية الهامة وقد طبعت الرحلة عام ١٣٨٤هـ/١٩٥٥م وأعيد طبعها مرة ثانية في عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م وعام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م. وماهر القادري شاعر عظيم فاضت قريحته أشعاراً تقطر عذوبة ورقة يقول عندما بدأ رحلته إلى الأراضي المقدسة واستقل الباخرة "سفينة العرب": —

صار الفكر قرينا للخيال
وصار القول مطابقاً للعمل بإحسان
لم يعد بين القلب والنظر حجاب
ولو قدر بيان
حين انطلقت سفينة العرب
تجاه جزيرة العرب
قال العشق طرباً، مرحباً مرحباً
و راح الشوق يجذب تلابيبنا
إلى بيت الرحمن.

وعندما يصل الشاعر إلى يلملم حيث ميقات حجاج شبه القارة الهندية يعبر عن مشاعره بقوله:

فها قد بدأنا الاستعداد للإحرام
وها نحن بين لحظة وأخرى
سنصل قريبين من يلملم. (١٢٦)
لمن أحكي عن أحوال قلبي
وكيف أحكي!
إنه مثل قطرة الندى ترتعد
تهتز أمام أشعة الشمس
ويقول مخاطباً قلبه:
يا قلب تمالك... وتماسك!
نحن مقبلون على مهبط الوحي
فتمالك وتماسك!
يا قلبي الضعيف افرح واسعد
فرب العالمين يعرف أنك مكلوم
تمالك وتماسك
وانظر سحب الرحمة تلوح في الأفق
ستسقط أمطارها في يوم معلوم
فتمالك وتماسك
وعندما يودع مكة المكرمة ينشد:
الوداع يا أرض جزيرة العرب الطاهرة
ذراتك حافظة للرفعة والرشاد
والوداع يا أرض الذكر والصلاة
الوداع يا موطن العفو والنجاة
الوداع أيتها الأرض بلا زرع، بلا ماء
الوداع يا جنة العين والفؤاد
ها قد افترقنا عن جبل بوقبيس وجبل الصفا
الوداع يا غار ثور ويا غار حراء
الوداع يا مقام إبراهيم.
الوداع أيها المطاف والركن اليماني والحطيم
الوداع يا حمام الحمي
الوداع يا أهل التقوى أهل الحرم أهل الكرم
الوداع يا جوار بيت الله

الوداع يا ملجأ الضعفاء

الوداع يا بئر زمزم

يا سبيل الله للعطشى

الوداع يا ذكرى إسماعيل

الوداع يا أرض الحرم

بارك الله فيك

ففي ترابك للوفاء جذور

فالوداع الوداع

يا أرض الضمير الطاهر. (١٢٧)

وكتب خطيب قادر بادشاه رحلته للحج بالنثر أولاً ثم عاد فنظمها شعراً بعنوان "سفر حجاز" أي "الرحلة الحجازية" وصف فيها تجربته الإيمانية أمام الكعبة وفي عرفات، وعندما يصل إلى الأراضي المقدسة يلهج لسانه بالدعاء والشكر لرب العالمين الذي وفقه في الوصول إلى هذه الأرض الطاهرة:

ألف ألف شكر

لله رب العالمين

فها قد وصلنا إلى

الهدف المنشود يا إلهي!

وصل عبدك المسكين

إلى بيتك المحرم

على لسانه كلمة

نداء لبيك لبيك

تنطلق في السماء

وجسمه ملفوف

برداء الإحرام

وفي سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م نظم مولانا ضياء القادري بديواني رحلته إلى الأراضي المقدسة بعنوان "ديار نبي" وكان أدى فريضة الحج عام ١٣٦٨هـ وتمتاز هذه الرحلة المنظومة بالتلقائية وقوة المشاعر والعاطفة الجياشة وعدم التكلف. فبعد أن طاف الشاعر طواف الوداع مضى مخلفاً وراءه الكعبة المشرفة:

الحمد لله فقد أديت

فريضة الحج

وحسنت عقيدتي

يا إلهي!

ها هو عبدك يودع

بيتك بعد أن حسنت نيتي
أين لي بعد ذلك طواف الكعبة
أين لي بعد ذلك
رؤية الحرم
أتطلع إلى بيت الله الحرام
بعيون الفراق
ويعتصرني الحزن والألم
فقد انتهى العناق
يا إلهي!
أنت مولاي
تفعل ما تشاء (١٢٨)

ومن الرحلات المنظومة حديثاً رحلة "فيوض الحرمين" للشاعر سيد محمد عبد العزيز شرقي، نشرت عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. يصف الشاعر زيارته للمدينة المنورة بعاطفة قوية ومشاعر جياشة. يقول:

يا زائر المدينة!
حين يملأ النور صدرك
حين تصل سفينتك على
ساحل جزيرة العرب.
فلا تنسني من الدعاء
حين تملى أنظارك
حين تروي ظمأك
من ماء زمزم في البطحاء.
فاذكرني أيضاً اذكرني
ولا تنسني من الدعاء
ستأتي إلى مسجد الرسول للصلاة
مرة بعد مرة ستأتي للصلاة
حين تشاهد منبره المبارك
وتتذكر سنته الطاهرة
فاذكرني أيضاً اذكرني
ولا تنسني من الدعاء.

ويصف الشاعر مشاعره عندما يرحل عن المدينة المنورة:

يا مدينة الحب،

ها قد حان وقت الفراق

مرت الأيام سريعة وأنا في غفلة

يا للحسرة...

فؤادي، عيوني، عمرت بالنور

سأنوي كل عام أن أشد الرحال

إلى مسجد الرسول وأنثر الورود والزهور

فامنحني يا إلهي هذه النعمة

فأنت القادر وعبدك عاجز وشكور. (١٢٩)

(هـ) الرحلات الخيالية:

الرحلة الخيالية هي الرحلة التي وصفها مؤلفها على لسان رحالة وهمي، سافر إلى منطقة ما، ووصف أحوالها، أو تخيل المؤلف نفسه وقد سافر إلى منطقة ما، فيصفها من خلال قراءاته، أو ما توفر لديه من معلومات حصل عليها من هذا أو ذاك. (١٣٠)

وتعد رحلة محمد إقبال (١٨٧٧– ١٩٣٨م) المعروفة باسم "أرمغان حجاز" أي هدية الحجاز من أهم رحلات الحج الهندية الخيالية، وكان إقبال قد نظم ديوانه "جاويد نامه" أي رسالة الخلود (١٣١) التي تشبه رسالة الغفران للمعرى، والكوميديا الإلهية لدانتي. وكان إقبال قد عبر عن مشاعرة نحو المدينة المنورة ومنطقة الحجاز من خلال قصائد متفرقة له في ديوان "بانك درا" أي "صلصلة الجرس" هي شكوى، ومستشفى الحجاز، وحاج في طريقة المدينة، وقد تخيل في قصيدته الأخيرة هذه قافلة الحجاج تسير بين مكة والمدينة ويخرج عليهم قطاع الطرق ويعبر إقبال عن مشاعر الركب على لسان حاج جاء من بخارى للحج في قافلة حجاج من تركستان، ووصف المحمل الشامي الآمن من سلب البدو ونهبهم، ويعبر إقبال هنا عن المشاعر المتضاربة للحجاج الذين نهبت قافلتهم وقتل بعض الحجاج على يد البدو وتصميم الفتى البخاري على المضي قدماً نحو المدينة المنورة بعد أن نجا من الموت فمضى وحيداً يقول:

سرقت القافلة في الصحراء والمنزل بعيد

وأصبح رفاقي في السفر صيداً لسكين قاطع الطريق

ومن نجا منهم اتجه على غير هدى إلى بيت الله

أي سعادة تلك التي جعلت ذلك الشاب البخاري يضحي بنفسه،

فقد نال الحياة في قسم الموت –

كان خنجر قاطع الطريق كأنه هلال العيد –

وصيحة التوحيد على الشفاة

يقول الخوف: لا تتجه وحدك إلى يثرب

ويقول الشوق: أنت مسلم فامش بلا خوف

فهل أرجع إلى بيت الله بدون زيارة النبي؟

وكيف أواجه العشاق يوم القيامة؟

إن من يطوي صحراء الحجاز لا يخاف على روحه،

وهذا هو السر الخفي لهجرة النبي (صلى الله عليه وسلم) مدفون يثرب (١٣٢)

ويرى الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم أنه "رغم أن إقبالاً تخيل قصة قافلة الحجيج هذه إلا أنها خيال قريب من الواقع، واقع الجزيرة العربية قبل أن يوحدها المغفور له الملك عبد العزيز، فينشر الأمن في ربوعها، والحكايات والروايات التي جاءت على لسان الرحالة الهنود وغيرهم تؤكد ذلك، ومن هنا فقصة إقبال الخيالية أقرب إلى الواقع". (١٣٣)

عاش إقبال طول حياته يتوق لأداء فريضة الحج وزيارة الأراضي المقدسة، وكان كلما ذكر اسم المدينة المنورة أمامه تفيض عيناه بالدموع، ولم يقدر له الحج وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لظروف مرضه وضعفه، فرحل إلى الحجاز بخياله القوي وشعره العذب، وقلبه الذي ملأه الشوق، وتخيل إقبالاً نفسه وقد سافر إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة وهكذا عاد ليحمل لأصدقائه ولأهله ولأمته "هدية الحجاز" يقدمها لهم فكراً جميلاً وشعراً عذباً، بالفارسية والأردية. وقد قام إقبال برحلته إلى الأراضي الحجازية في وقت قارب فيه الستين:

رحلت...

رغم شيبي وضعفي

أنشد أشعاري –

في سرور وحنين

فلا تعجب

فالطائر يحلق طول نهاره

في الصحراء والبوادي

فإذا أدبر النهار

وأقبل الليل

رفرف بجناحيه

باحثاً عن وكر ليأوى إليه.

هكذا فسر الشاعر قيامه برحلته الخيالية إلى الأراضي المقدسة، وهكذا كتب ديوانه الأخير الذي نشر بعد مماته بعنوان "أرمغان حجاز" أي هدية الحجاز، وإن شئنا الدقة هدية العائد من الحجاز بعد أداء فريضة الحج، فقد ودع إقبال الحياة في ٢١ أبريل ١٩٣٨م وفي نوفمبر من العام نفسه نشر ديوان "أرمغان حجاز" (١٣٤)

ويناجي إقبال ربه في بداية ديوان "أرمغان حجاز" قائلاً:

ما أسعد المسافر الذي لا يحمل متاعاً

قلما يقبل قلبه فضيحة الأحباب

فتح الصدر بآهاته المحرقة

فآهة واحدة من آهاته

تقضي على حزن مائة عام.

ويمضي إقبال يخاطب ناقته وقت السحر وهي تمضي به على الدرب متجهة نحو المدينة المنورة:

قلت للناقة وقت السحر: تمدي في سيرك

فالراكب مجروح ومريض وعجوز

فسارت تخطو كالسكران

حتى أنك تظن أن رمال الصحراء

أضحت تحت قدميها حريراً

شد اللجام لا يليق بها أيها الجمال

فروحها بصيرة كروحنا

عرفت من تموجات سيرها

أنها أسيرة مثلي داخل طلسم القلب. (١٣٥)

وعندما وصل إقبال بخياله إلى المدينة المنورة أنشد: (١٣٦)

أنا غريب عن هذه المدينة

فاستمع إلى عويلي

وانصت إلى أناتي العليلة

لكي تقوم القيامات في صدرك أيضاً

استمع لأغنياتي

الممزوجة بالغم

المعجونة بالحزن

ونغمات قلبي الحزين

ليست عامة في هذه الدنيا.

(و) رحلات الحج للأطفال:

رغم الأعداد الوفيرة من رحلات الحج الهندية إلا أنه من المثير للدهشة أن معظم رحلات الحج كتبت للكبار وأنهم لم يشعروا بضرورة كتابة رحلات للأطفال وأن هذه الرحلات لم تنشر حتى الآن على هيئة كتاب. وأعظم ما فعله الكاتب مسعود أحمد بركاتي أنه عندما أدى فريضة الحج لم يكتب تأثراته للكبار بل وضح حقيقة الحج للأطفال ونشر رحلته على حلقات في مجلة نوفهال الشهيرة (البراعم) ونسلم بأنها أول رحلة حج هندية للأطفال، ومسعود أحمد كان أديباً للأطفال ولديه الموهبة والمقدرة على أداء الموضوعات الصعبة بلغة بسيطة سهلة الفهم وبقمها للأطفال وقد راعى في تقديمه للرحلة أن تكون ملائمة لفهم الأطفال وتخاطب عقلية الطفل كما استعان بالصور الخاصة بالكعبة والمسجد الحرام والمسجد النبوي وبئر زمزم والحجر الأسود ومقام إبراهيم وبذلك رسَخ مناسك الحج وأحداثه والأماكن المقدسة وتاريخ مكة وسيرة الرسول في قلوب الأطفال.

وكانت ثاني رحلة حج للأطفال قد كتبها محمد طفيل بعنوان: "سفرنامه" حيث قدم جميع مناسك الحج من وجهة نظر الطفل واجتهد في تقديمها بلغة الأطفال وقدمها في قصة وضح من خلالها الشخصيات وأماكن الحج ومناسكه في حدود

احترام العقيدة، وقد أدى محمد طفيل هذه الفريضة بأسلوب جميل، وقد نشرت رحلة الحج هذه في مجلة نقوش في العدد الخاص بمحمد طفيل. (١٣٧)

المبحث الثالث: أثر رحلات الحج الهندية في مسلمي شبه القارة الهندية.

(ا) مكة المكرمة في وجدان مسلمي شبه القارة الهندية:

ظلت مكة المكرمة حاضرة في وجدان مسلمي شبه القارة الهندية وعقولهم وستظل تهوي إليها أفئدتهم، ومنتهى أملهم أن يشدوا الرحال إليها مهاجرين ومجاورين، وكانوا يعتبرونها وطناً ثانياً لهم خاصة بعد أن أفتى بعض العلماء بأن الهند "دار حرب"، واتخذوا منها ملاذاً آمناً وقاعدة للتعليم والدراسة ونيل الإجازات العلمية من حرمها المكي ومن ثم الجهاد والإصلاح، وقد تركت رحلات الحج إلى مكة أثاراً بليغة في مسلمي شبه القارة الهندية وهذا التأثير جذبهم إليها مهاجرين ومجاورين، وتسابق الملوك والأمراء في إرسال التحف والهدايا والأموال إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة في المناسبات المختلفة طمعاً في الثواب فالملك المغولي ظهير الدين بابر (١٢٥٦–١٥٣٠م) أرسل هدايا ثمينة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة شكراً لله لانتصاره في معركة باني بت (١٥٢٦م) (١٣٨)

وعندما هزم الملك همايون (١٥٣٠–١٥٤٠م) أخاه كامران أرسله للحج وأرسل معه هدايا كثيرة لأهل الحرم، وعندما انهزم بيرم خان أمام الملك المغولي أكبر (١٥٥٥–١٦٠٥م) طلب منه الإجازة للذهاب إلى البلاد المقدسة، وعندما سافرت كل من السيدة جلبن والسيدة سليمة سلطان للحج عام ١٥٧٥م (١٣٩) ودعهما الإمبراطور جلال الدين أكبر وزودهما بالتحف والخلع والملابس لتوزيعها على سكان الحجاز، وكان يرتب أمور الحج كل عام ويحفظ طرق الحجاج ويرسل تحفاً وهدايا لأهل مكة المكمة والمدينة المنورة. (١٤٠)

والسلطان تيمور، ونصير الدين بلوج، ونظام علي خان، وغيرهم من أمراء وسلاطين الركن في الهند كانوا يرسلون الصدقات إلى الحرمين الشريفين باستمرار ودون انقطاع، وكان الأمير محمد علي خان يرسل مائتي ألف كل عام طمعاً في أن يدعو له أهل الحرمين بالتوفيق والرشاد. (١٤١)

وظلت مكة المكرمة أهم مركز لجذب العلماء الهنود بشكل خاص وعلماء العالم الإسلامي من الشرق والغرب على السواء مما جعلها عاصمة للثقافة الإسلامية قديماً وحديثاً، وقد ضاعف من مكانة مكة الثقافية والريادة العلمية الموجات المتتالية من الرحلات العلمية التي قام بها علماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي طلباً للعلم والمجاورة لبيت الله الحرام والتي كانت تستغرق سنوات وأحياناً مدى الحياة، وقد ساهم العلماء المجاورون في وجود مثل هذه الظاهرة الفريدة التي انفردت بها مكة دون غيرها من الحواضر الإسلامية.

وبدأت مكة المكرمة تستقبل أعداداً كبيرة من الهنود مهاجرين ومجاورين مع نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وكان لهؤلاء الهنود دور بارز في الحركة العلمية في مكة المكرمة عبر العصور بعد أن صاروا جزءاً من النسيج الاجتماعي لسكان مكة من خلال إنشاء المدارس والكتاتيب والتدريس في الحرم وتأليف الكتب عن تاريخ مكة وكانوا من بين البيوت التي انقطعت للعلم.

وقد أظهر بعض الحكام المسلمين الهنود عناية بالتعليم في مكة، وأسسوا عدداً من المدارس منها المدرسة الغياثية أو البنغالية أسسها الملك منصور غياث الدين بن المظفر أعظم شاه صاحب البنغال وبنيت في جمادى الأول عام ٨١٤هـ وكان أوقافها بالضيعة المعروفة بالركابي بواد قريب من مكة المشرفة. (١٤٢).

وأسس أحمد شاه (٨١٤-٨٤٥) أحد حكام الدولة الكجراتية مدرسة في مكة المكرمة عرفت باسم المدرسة الكنبائية نسبة إلى حاضرة إحدى ولايات كجرات، وممن درس بها المؤرخ الشهير قطب الدين النهروالي ، ووالده وكانت تدرس الفقه الحنفي وتقع بالجهة الجنوبية من المسجد الحرام (١٤٣) وقد أزيلت في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري وبنيت في موضعها المدرسة السليمانية وكان لها وقف في الكجرات ترسل غلاله إلى مكة المكرمة لينفق منه على المدرسين والطلاب ومن يقيم في الرباط. (١٤٤)

وفي سنة ١٦٧٨هـ/١٨٦٢م هاجر إلى مكة الشيخ رحمت الله الكيرانوي وحصل على الإجازة بالتدريس في المسجد الحرام وسجل اسمه في السجل الرسمي لعلماء الحرم، وأسس في مكة أول مدرسة حديثة عام ١٢٨٥م، وسميت المدرسة الصولتية سنة ١٢٩٢هـ نسبة إلى الأميرة صولت النساء وهي أميرة هندية مسلمة تبرعت ببنائها، وبقي الشيخ رحمت الله مديراً لها إلى وفاته في ٢٢ رمضان سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩١م ودفن في مقابر مكة. (١٤٥) ومكانها اليوم بحارة الباب بالخندرسية.

وقام الشيخ عبد الحي قارئ أحد الأساتذة في المدرسة الصولتية بتأسيس المدرسة الفخرية بجوار باب إبراهيم في عام ١٢٩٦هـ ودعا أثرياء الهند إلى مساعدته فتم له ما أراد وشرعت مدرسته تؤدي دورها في خدمة مكة المكرمة. وفي سنة ١٣٣٠هـ أسس محمد علي زينل مدارس الفلاح في كل من مكة وجدة وبومباي، وتأسست في حارة الباب ثم انتقلت إلى القشاشية أمام باب علي قبل توسعة المسجد ثم أسست لها بناية في الشبيكة وهي باقية فيها إلى اليوم. (١٤٦)

وأسس السيد أحمد الفيض آبادي مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة سنة ١٣٤٠هـ ولا تزال تقوم بدورها الرائد حتى الآن. (١٤٧) إلى جانب تأسيس رباط بهوبال وحيدرآباد.

كما أسس الهنود في مكة المكرمة عدداً من الكتاتيب لتعليم الأولاد والبنات ومن أهمها كُتاب الشيخ أحمد السوركتي الذي أسسه في مستهل القرن الرابع عشر الهجري في حارة الباب بمكة المكرمة وعندما تأسست مدرسة الفلاح بمكة ١٣٣٠هـ انضم جميع طلاب هذا الكُتاب إلى المدرسة وكانوا نواة لها (١٤٨)

وكتّاب المدرسة الصولتية للبنات: وكان تأسيسه في عام ١٣٤٠هـ ويقع في حارة الباب بالقرب من المدرسة الصولتية واستمر هذا الكتاب حتى عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

وكتّاب الأستاذة الهزازية: وكان موجوداً في منزل آل الكندواني في الصفا ومدخله من باب قرب باب الصفا، وكان يدرس فيه مبادئ اللغة الإنجليزية والأردية بمساعدة بنات الحاج سيت محمد الكندواني وتأسس في أواخر الأربعينات. (١٤٩).

وذكر الأستاذ عبد الحق النقشبندي في ترجمته لحياة الشيخ عبد القادر توفيق الشلبي أحد علماء المدينة المنورة في مطلع القرن الرابع عشر الهجري: "كان يوجد بالمدينة المنورة كُتّاب لتعليم القرآن الكريم يعرف بكُتاب مدرسة الكشميري، ويديره الشيخ عبد العليم الهندي وأنه كان وزميلة السيد أحمد العربي من جملة تلاميذ ذلك الكتاب". (١٥٠)

(ب) أثر رحلات الحج الهندية في العلماء وحركات الإصلاح والتحرير الهندية:

تركت رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة آثاراً عديدة في العلماء وحركات الإصلاح والتحرير في شبه القارة الهندية نظراً لانتقال الأفكار السياسية والدينية إلى شبه القارة الهندية عن طريق الرحالة الهنود وكان بعضهم يقيم في مكة المكرمة والمدينة المنورة لسنوات يطلب فيها العلم يعود إلى الهند فينقل إليها خلاصة تجاربه العلمية والسياسية والإصلاحية ويكتب عن رحلته هذه ليستفيد منها من يريد الذهاب للحج أو من لا يستطيع الذهاب من خلال قراءتها.

١ - أثر رحلات الحج الهندية في علماء الهند:

كان الحرم ولا يزال – إلى أن يرث الله الأراضي ومن عليها – مصدر إلهام لكتاب الرحلة من العلماء الهنود الذين نالوا شرف القدوم إليه والمجاورة فيه وتدوين رحلتهم الإيمانية إليه وتجاربهم الروحية ووصف المناسك والأماكن والأسواق، وطبيعة أهل مكة وتقاليدهم، ويتفاوت هذا الكم من أدب الرحلات إلى الحج في أهميته الأدبية لأن ذلك له علاقة بموهبة الكاتب وخبراته وإبداعه.

وكانت مكة المكرمة ولا تزال ملاذاً للعلم والعلماء والمجاورين من أنحاء العالم الإسلامي وقد قدموا إليها ليتعلموا ويؤلفوا الكتب وبالتالي فلها تأثير في ثقافة مسلمي الهند من العلماء خاصة. وقد اقترن الحج بطلب العلم وفرصة لقاء العلماء والتلاقح الفكري وتبادل الأفكار العلمية والتتلمذ على مشاهير علماء الحرمين الشريفين الذي كان بمثابة جامعة إسلامية كبيرة تضم علماء وطلاب علم من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وكان علماء الهند يطمحون في نيل الإجازات العلمية من شيوخ الحرمين الشريفين حتى إذا رجع العالم إلى الهند صار مبرزاً على أقرانه من العلماء.

ويصعب على الباحث حصر جميع علماء الهند الذين تأثروا برحلات الحج إلى مكة المكرمة بسبب كثرتهم ولهذا نكتفي بالإشارة إلى بعض من ذاع صيتهم مثل أسرة شاه ولي الله الدهلوي التي لم تنقطع عن زيارة مكة المكرمة منذ أن قام شاه ولي الله الدهلوي برحلته إلى مكة المكرمة للحج ودونها في كتاب بعنوان: "فيوض الحرمين" ١١٦١هـ/١٧٢٨م. يقول شاه ولي الله الدهلوي: "شاء الله أن تكون مكة المكرمة بقعة طاهرة ذات مآثر جليلة خالدة، يقصد إليها من كل حدب وصوب تلبية لنداء الحج، وطمعاً في أداء المناسك وكان لا بد من اجتماع الناس في هذا الموسم المبارك على النحو الذي نرى، إظهاراً لشوكة المسلمين، وتنبيهاً إلى عددهم وعدتهم، حتى يعلو منار شرع الله، وتنشر ألويته، ويغلب على كل قطر من الأقطار" (١٥١)

وقد أثرت رحلة الحج في شاه ولي الله الدهلوي وفي مؤلفاته وفي فكره الإصلاحي ويتجلى ذلك من خلال كتابه "حجة الله البالغة" وقد طبع في الهند ومصر مراراً. (١٥٢) وقام ابنه شاه رفيع الدين (١١٧٦هـ/٨٥٣م-١٢٣٠هـ/١٨١٤م) بترجمة القرآن إلى اللغة الفارسية – اللغة الرسمية للهند آنذاك. كما ترجم ابنه شاه عبد القادر القرآن إلى اللغة الأردية باسم "موضح قرآن" ولهذه الترجمة مكانة بارزة في تاريخ التراجم الأردية للقرآن الكريم القديمة والحديثة على السواء. (١٥٣) وكانت للفتوى الشهيرة التي أصدرها ولده شاه عبد العزيز بأن الهند "دار حرب" دور كبير في هجرة العديد من علماء الهند إلى مكة المكرمة والإقامة بها ثم العودة إلى الهند لإثراء الحركة الفكرية والإصلاحية بها.

وفي المدينة المنورة كان الشيخ السندي قد أخذ العلم عن الشيخ محمد أبي الطاهر الكوراني، كما أخذ عنه أيضاً شاه ولي الله الدهلوي، وعاد إلى بلاده ونشر دعوته الإصلاحية فيها، وبذلك يكون بروز المصلحين في العالمين العربي والإسلامي،

وفي مقدمتهم الشيخان ولي الله الدهلوي ومحمد بن عبد الوهاب، وكان شاه ولي الله قد استقر بالمدينة المنورة في الفترة بين مارس ١١٤٣هـ حتى ١١٤٥هـ. (١٥٤)

وجذب الجو العلمي في الحرم المكي الكثير من علماء الهند ومنهم قطب الدين محمد بن علاء الدين النهر والي الهندي ثم المكي الحنفي دفين مكة المكرمة وصاحب طبقات الحنفية، والإعلام بأعلام بيت الله الحرام، وكتاب "البرق اليماني في الفتح العثماني". (١٥٥) وبرز من آل القطبي الشيخ محب الدين أخو قطب الدين وابنه علاء الدين وعبد الكريم وابنه أكمل وحفيده أسعد ولبعضهم مؤلفات في التاريخ وكانوا يسكنون بجوار باب في المسجد الحرام يعرف بباب القطبي وكان معروفاً قبلهم بباب الهنود. (١٥٦)

والشيخ محمد رحمت الله (١٢٩١-١٣٠٨هـ) واشتهر بمناظرته لرئيس البعثة التبشيرية بالهند واسمه فدرين، وعندما احتل الإنجليز الهند ثار الشيخ رحمت الله على الاستعمار فاستولى الإنجليز على ممتلكاته فهاجر إلى مكة عام ١٨٥٧م وحصل على إجازة للتدريس في المسجد الحرام، وقد توفي عام ١٨٩١م وقد قضى أكثر من نصف عمره العلمي والجهادي في مكة المكرمة التي شكلت أهم نتاجه الفكري ومن أبرز مؤلفاته التي كتبها بالعربية كتاب "تقليب المطاعن" ١٨٤٢م، والبروق اللامعة. (١٥٧) وقد أشار على الأميرة المجاورة صولت النساء بحاجة مكة المكرمة إلى مدرسة لتعليم أبنائها وأبناء المسلمين فعهدت إليه بذلك فقام بشراء قطعة أرض في حارة الباب وبنى عليها المدرسة "الصولتية" نسبة إليها وفتحت أبوابها في سنة ١٢٩٢م ولا تزال مفتوحة حتى الآن.

وقد أثرت رحلة الحج لذلك في العالم عبيد الله السندهي الذي ولد لأسرة سيخية في قرية جتانوالي بمديرية سيالكوت في إقليم البنجاب (باكستان الحالية) في محرم ١٢٨٩هـ/مارس ١٨٧٢م، وقد رحل إلى السند وشرح الله قلبه للإسلام على يد أحد شيوخ السند الكبار حافظ محمد صديقي وتسمى بعبيد الله السندهي، وذهب إلى مكة المكرمة سنة ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م للحج وظل في مكة نحو اثني عشر عاماً فقد عاد سنة ١٩٣٨م لينهمك في العمل السياسي إلى أن وافته المنية ١٩٤٤م ودفن في خان بور بالبنجاب. وفي مكة المكرمة أشرف على طباعة كتاب شاه ولي الله "المستوى من أحاديث الموطأ" وألف بالعربية "التمهيد لأئمة التجديد" وهو يتصمن أقوال شاه ولي الله الدهلوي وأولاده وأحفاده من بعده. (١٥٨)

وهناك أثر آخر يمكن أن يضاف في هذا الجانب ولا يمكن تجاهله ألا وهو الأثر اللغوي لرحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة في اللغة الأردية من خلال دخول كلمات عربية لا حصر لها إلى اللغة الأردية وردت في هذه الرحلات. فمن حيث الشكل نجد أن الرحالة الهنود كانوا مولعين بإطلاق أسماء عربية على رحلاتهم وهي في الوقت نفسه تعكس مشاعرهم تجاه الأراضي المقدسة مثل: "زاد غريب"، و"وكيل الغربا"، و"أرض القرآن"، و"رحلة الصديق إلى بيت الله العتيق"، و"السفر اللطيف إلى بيت الله الشريف"، و"مشاهدات حرمين"، و"سفر سعادة"، و"جمال حرمين"، و"راحة القلوب"، و"حرمين شريفين"، و"سفر حجاز"، و"زاد الزائرين"، و"رحلة المسكين إلى البلد الأمين"، و"صراط الحميد"، و"سبيل الرشاد"، و"حج صادق"، و"رحلة الصديق إلى البيت العتيق"، و"لبيك"، و"سفر مقدس"، و"سفر شوق"، و"أرض تمني"، و"مشاهدات بلاد إسلامية"، و"أرض مقدس"، و"فيوض الحرمين"، و"جذب القلوب إلى ديار المحبوب"، و"ديار حبيب"، و"سوانح الحرمين" وغيرها.

أما من ناحية المضمون فنجد أن انتقال المصطلحات العربية الخاصة بالحج والمناسك والأماكن المقدسة وأسماء القرى والمدن التي مروا بها إلى اللغة الأردية قد ساهم في إثرائها حيث كانت تذكر كما هي باللغة العربية وكان لذلك بليغ الأثر في ظهور وعي ديني كبير بالفقه والأحاديث النبوية ومن الطريف كذلك أن مسلمي الهند بدءوا يطلقون أسماء: مكة ومدينة وكعبة وجزيرة على بناتهم.

٢- أثر رحلات الحج الهندية في حركات الإصلاح والتحرير الهندية:

لم تكن مكة قبلة المسلمين التي يتوجه إليها مسلمو الهند كل يوم خمس مرات فحسب، بل كانت تؤثر في حركات الإصلاح والحركات التحريرية في الهند من خلال رحلات الحج الهندية التي لم تنقطع يوماً عن مكة المكرمة ويكمن هذا التأثير في أمرين: الأمر الأول: يتمثل في وجود جالية هندية كبيرة في مكة المكرمة. والثاني التأثير الديني والسياسي للحج في العائدين إلى الهند، وقد أثر هذان العاملان في إذكاء الثورة ضد المستعمر الإنجليزي وفي حركات الإصلاح الديني.

وقد كان لعلماء الهند في مكة أثر شديد في مسلمي الهند، وكانوا على صلة مباشرة بالهند وكان الهنود يأتمرون بأمر قادتهم الموجودين في مكة من خلال الكتب المؤلفة في مكة والتي كانت تصلهم، وهي كتب من قبل علماء يحظون باحترام مسلمي الهند ولهم تأثير مباشر وكان هؤلاء هم المحرض الأول على الثورة ضد الإنجليز وحركات الإصلاح الديني، وكان لمكة بفعل ما لها من دور إشعاع ديني وجاذبية الحج إليها دور مهم في التأثير في حركات الإصلاح الهندية و نذكرها فيما يلي:

(أ) حركة شاه ولي الله الدهلوي (١٧٠٢-١٧٦٢م):

قامت هذه الحركة الإصلاحية في الهند واشتد عودها بعد عودة شاه ولي الله الدهلوي من رحلة الحج التي قام بها عام ١٨٢٧هـ والتقى بعلماء الحرمين الشريفين وتأثر بهم وبأفكارهم وكان العالم الإسلامي يغص بالحركات الإصلاحية والثورية التي كانت تنبعث من آن لآخر ضد الحكومة الإنجليزية، ولم يكن لدى المسلمين أية وسيلة يستطيعون بها منع القوى غير الإسلامية الأخرى في الهند مثل السيخ والمرهتا والجات بالإضافة إلى الإنجليز، والقضاء عليهم خاصة في الوقت الذي ضعفت فيه الإمبراطورية المغولية، ولم يعد لها أي دور حقيقي في حكم الهند وقد عم المجتمع الفقر وانتشرت الأمراض الاجتماعية بين المسلمين في الهند. وكان شاه ولي الله قد أسس المدرسة الرحيمية في دهلي فصارت نواة لحركته الإصلاحية، وقد كان عالماً فذاً وهبه الله بصيرة ناقدة وعقلاً راجحاً فقام باستعراض مفصل لحالة المسلمين المتردية في الهند، واعتبر شاه ولي الله الجهاد ضرورياً لتنفيذ أهدافه.

وتكمن العظمة الحقيقية في شاه ولي الله في أنه قام بالتفكير جيداً في الأسباب الرئيسية لتأخر المسلمين وعزا أسباب انحطاط المسلمين وفساد أخلاقهم إلى جهلهم بتعاليم الإسلام وكان يعتقد أنه يستطيع أن يقيم ثورة عارمة بعد العمل بالشريعة الإسلامية (١٥٩) ولم يكن يريد أن يصبح المسلمون جزءاً من البيئة العامة لشبه القارة الهندية فحسب، بل يريد أن يقيم العلاقات والروابط القوية مع بقية المسلمين في العالم وخاصة الحجاز. (١٦٠)

وسلك شاه ولي الله طريق الاعتدال والوضوح في كتاباته وحاول إثبات التوافق بين التعاليم الإسلامية والحياة الإنسانية وترجم القرآن للفارسية حتى تصل معانيه إلى أفهام الناس بسهولة، وعلى الرغم من أن حركة شاه ولي الله لم تنتشر

وتزدهر في حياته فإن أعظم إنجازاته هي بحث الأوضاع الاقتصادية والسياسية في عصره ومحاولة إقامة حكومة إسلامية. وبعد وفاة شاه ولي الله خلفه ابنه شاه عبد العزيز (١٧٤٦-١٨٢٤م) على مدرسته وفكره فتطورت حركة شاه ولي الله في عصره، وحاول أولاد شاه ولي الله الآخرون شاه رفيع الدين وشاه عبد القادر وشاه عبد الغني إقامة الحكومة الإسلامية التي كانت الهدف الرئيسي لشاه ولي الله ولكن الإنجليز أعلنوا رفضهم لهذه الفكرة، لذلك قام تلاميذ شاه ولي الله بالانتشار في القرى والمدن يدعون إلى ترك البدع واتباع السنة وكانوا يهدفون إلى يقظة المسلمين وتوحيدهم، وقام أولاد شاه ولي الله بتأليف الكتب الدينية وبتفسير كتبه وترجم شاه عبد القادر وشاه رفيع القرآن الكريم إلى الأردية. (١٦١)

ووصلت الدعوة الإسلامية إلى ذروة نجاحها عندما أصدر شاه عبد العزيز فتواه الشهيرة عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م بأن جميع المنطقة الواقعة تحت حكم الإنجليز والممتدة من دهلي حتى كلكتا هي "دار حرب" وليست "دار إسلام"، ومعنى ذلك أن الإسلام لم يعد السلطة الفوقية في الهند. (١٦٢)

ولم تخرج الفتوى بأي رد فعل فوري لكنها ولدت حركة ثورية تحررية كان هدفها إقامة الحكومة الإسلامية (١٦٣) وطرد الإنجليز وهي "حركة المجاهدين" بقيادة سيد أحمد الشهيد الذي حمل لواء الجهاد والدعوة الإسلامية بعد وفاة شاه عبد العزيز ١٨٢٣م.

(ب) حركة المجاهدين وفكرة الجهاد:

كان لعقيدة الجهاد أهمية كبرى في مقاومة الإنجليز في الهند بعد أن استقروا في البنغال وتوغلوا منها إلى جميع أنحاء الهند فقامت حركات إسلامية في البنجاب والبنغال على السواء تدعو إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية وطرد الإنجليز وإقامة الحكومة الإسلامية وقد اتخذت هذه الحركات وعلى رأسها – حركة المجاهدين – شكلاً منظماً بزعامة سيد أحمد الشهيد (بريلوي). (١٦٤)

قام سيد أحمد الشهيد (١٦٥) بإعلان الجهاد ضد السيخ وبايعه شاه إسماعيل ابن أخت شاه عبد العزيز و مولانا عبد الحي صهر شاه عبد العزيز وأصبحا من أخلص أعوانه وقاموا بتكوين حركة المجاهدين سنة ١٨٢٠م، وقام السيد أحمد الشهيد ورفيقاه بالطواف بشرق الهند وجنوبها يدعون المسلمين إلى نبذ العادات والتقاليد غير الإسلامية والتمسك بالشريعة الإسلامية و أشعلوا حماس المسلمين من البنغال حتى دهلي. (١٦٦)

وفي سنة ١٢٣٦هـ/١٨٢١م سافر سيد أحمد الشهيد ورفيقاه مولوي عبد الحي وشاه إسماعيل ونفر من أنصار حركة مجاهدين إلى مكة ووقفوا فى كل مدينة وقرية يدعون الناس إلى التمسك بتعاليم الإسلام حتى وصلوا إلى مكة المكرمة وبايعه بعض العلماء المصريين والبلغار، وترجم مولوي عبد الحي كتاب سيد أحمد الشهيد "الصراط المستقيم" إلى اللغة العربية وكان قد ألفه سنة ١٢٣٣هـ ويحتوي على أهداف حركته، والتقى في مكة المكرمة بعلماء من جميع البلاد الإسلامية وعلى رأسهم الإمام محمد الشوكاني ثم عاد إلى الهند في ١٢٣٩هـ/١٨٢٤م بعد أن اطلع على حركة محمد بن عبد الوهاب في نجد لإحياء الدين وتطهيره من البدع والخرافات ولم يبق أي مصلح هندي بمعزل عن هذه الأفكار الوهابية، لكن أفكار السيد أحمد كانت تختلف قليلاً عن الأفكار الوهابية على رغم من اشتراكهما في بعض الأفكار الإصلاحية. (١٦٧)

وقد أقامت حركة المجاهدين حكومة لهم في بشاور عام ١٢٤٥هـ/١٨٣٠م، وعين سيد أحمد الشهيد مولوي سيد مظهر علي قاضياً على المدينة وبدأ يفصل في القضايا طبقاً للشريعة الإسلامية وفرض الضرائب وحارب البدع ولكن زعماء

القبائل ضاقوا ذرعاً بهذه الضرائب فقرروا قتل المجاهدين مرة واحدة في الليل وهجموا عليهم وهم يصلون الفجر وذبحوهم (١٦٨)

(حـ) حركات الإصلاح الإسلامية في البنغال:

كان أهم عمل مثمر للسيد أحمد شهيد وخلفائه من بعده أنهم قاموا بمد نشاط حركتهم إلى البنغال في الشرق وأقاموا علاقات قوية بينهم وبين الحركات الإصلاحية الإسلامية الأخرى في الهند من أجل إحياء فروض الدين وإقامة شعائره الصحيحة بعد أن كان البنغال بمعزل عن الحركات الإسلامية في شمال الهند. وكان القرن التاسع عشر نذيراً بعودة الحياة الإسلامية للبنغال ونهاية العزلة الدينية للمسلمين بسبب ظهور الحركات الإصلاحية والإحيائية التي قام بها أنصار سيد أحمد الشهيد ومريدوه في البنغال وكانت أولى حركات المجاهدين في البنغال الحركة الفرائضية. (١٦٩)

١ ـ الحركة الفرائضية:

هي أولى الحركات الإسلامية الإحيائية في البنغال وقام بها حاجي شريعت الله (١١٩٥هـ/١٧٨١م – ١٢٥٧هـ/١٨٤٠م)، وقد سنحت له الفرصة كاملة للاطلاع بنفسه على الحركة الإصلاحية في نجد عندما ذهب للحج سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٢م وتأثر بما اطلع عليه من أفكار إصلاحية في مكة المكرمة حتى أنه أخذ على عاتقه مسئولية الدعوة إلى إحياء الإسلام والإصلاح الديني عندما رجع من الحجاز فقام بوعظ المسلمين وإرشادهم، وأكد على أهمية أداء الفرائض الإسلامية ولهذا سميت بالفرائضية أي المهتمة بأداء الفرائض، وقد نبذ الفرائضيون التقاليد والبدع والاحتفالات التي لا سند لها في القرآن والسنة، وانتشرت هذه الحركة بسرعة في مناطق كبيرة في البنغال، ومات حاجي شريعت الله عام ١٢٣٦هـ/١٨١٢م بعد أن أرسى قواعد هذه الحركة وجاء بعده حاجي محمد ١٢٥٧هـ/١٨٤٠م فقام بتنظيم الحركة وجعلها أكثر وعياً وأصبح لها فاعلية سياسية واجتماعية كبيرة وأسس المراكز الدينية في شرق البنغال. (١٧٠)

وكانت هذه الحركة في الأصل حركة دينية بحته شأنها في ذلك شأن "الطريقة المحمدية" تسعى إلى أهداف روحية مثل الدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع غير الإسلامية، وهي ما نادى بها الشيخ محمد عبد الوهاب في نجد.

٢- حركة تيتومير:

كانت هذه الحركة معاصرة للحركة الفرائضية وأسسها تيتومير المتوفى ١٨٣١م وكانت هذه الحركة على علاقة بحركة المجاهدين في شمال الهند فقد كان تيتومير يخوض نضالاً نشطاً في البنغال الغربية في نفس الفترة التي كان السيد أحمد يخوض قتاله ضد السيخ، وكان هدف هذه الحركة في البداية نشر روح الجهاد بين المسلمين ضد الإنجليز وأعوانهم من الهندوس إلى جانب الإصلاح الديني، ثم أخذت صبغة سياسية شعبية وقد جمع تيتومير حوله عدداً كبيراً من الأشياع من الفلاحين والصناع وأعلنوا (١٧١) الجهاد ضد الإنجليز لإعادة الحكم الإسلامي للهند مرة أخرى، وقد أدى هذا الإعلان من جانب الحركة إلى انتشار الحركات الثورية المختلفة ضد الإنجليز في مختلف أنحاء الهند وكانت نهاية الحركة على يد الإنجليز لأنهم لم يستطيعوا مواجهة جيش منظم ومسلح بأسلحة حديثة. وقد واصل المجاهدون حربهم ضد الإنجليز في حرب التحرير الهندية عام ١٨٥٧م التي انتهت بهزيمتهم ودخول الهند تحت السيطرة الإنجليزية المباشرة ١٨٥٨م. وبعد فشل حركة المجاهدين من الناحية العسكرية فكروا في الجهاد الأكبر وهو إصلاح نفوس المسلمين عن طريق نشر المفاهيم الدينية الصحيحة وأنشأوا لهذا الغرض شبكة من المدارس والكتاتيب مثل مدرسة ديوبند التي أسسها محمد قاسم نانوتوي والتي كانت تدرس أفكار شاه ولي الله الثورية.

الخاتمة

١ – رحلات الحج الهندية من المصطلحات الرائجة والمعروفة في الأدب الأردي في شبه القارة الهندية، وهي فن من الفنون الأدبية أوجدت لنفسها مساحة كبيرة في الآداب الإسلامية ولغزارة الإنتاج في هذا الموضوع أصبحت صنفاً أدبياً منفصلاً له أطره العلمية ودوافعه الأخلاقية، وقد تفوقت اللغة الأردية على مثيلاتها من اللغات الإسلامية في رحلات الحج من حيث الكلم، وهذا ما شهد به كبار المستشرقين والنقاد الذين أكدوا على المكانة البارزة التي نالها الحرمان الشريفان في اللغة الأردية رغم أنها لغة إسلامية وليدة ولا يتعدى عمرها خمسة قرون وهناك رحلات مخطوطة لم يكشف عنها حتى اليوم. ولا أزعم أنني قد أحطت بجميع رحلات الحج الهندية لأن هذا الزعم لم يصرح به كبار نقاد الأدب الأردي الذين تناولوا هذه الرحلات و اختلفوا جميعاً حول عددها.

٢– تعد رحلات الحج الهندية من المصادر المهمة والوثائق التي يعتد بها في دراسة تاريخ مكة المكرمة ومنطقة الحجاز، وتعتبر هذه الرحلات شاهداً على التطور الحضاري والعمراني والسياسي والاجتماعي لمكة المكرمة والمدينة المنورة حيث وصفت هذه الرحلات بدقة طرق ووسائل المواصلات التي سلكها الحجاج الهنود براً وبحراً. ولم يقتصر كاتب الرحلة الهندية على الملاحظات العابرة وإنما سعى للتوغل في الظواهر التي شاهدها وتحليلها من أجل كشف كنهها، وحاول أن يسجل انطباعاته كباحث أنثروبولوجي ، وبالتالي يمكن اعتبار هذه الرحلات وثائق أنثروبولوجية متنوعة لكل ما هو موجود في مكة المكرمة من نشاط اجتماعي وثقافي.

٣ – أكد البحث على أن أقدم رحلات الحج الهندية المكتوبة باللغة الأردية هي "رحلة الصديق إلى بيت الله العتيق" للأمير صديق حسن خان فقد بدأ تأليف هذه الرحلات في بداية الأمر باللغة الفارسية اللغة الرسمية آنذاك، وقد بلغ اهتمام مسلمي الهند برحلات الحج إلى مكة المكرمة أنهم لم يكتفوا بما أنتجوه من رحلات وفيرة، بل قاموا بترجمة رحلات الحج المهمة من لغات العالم ولغات الأمم الإسلامية كالإنجليزية والفارسية والعربية والتركية.

٤ – تميزت رحلات الحج الهندية الأولى حتى القرن التاسع عشر بأنها تخلو من وصف المشاعر الروحية التي يشعر بها الحاج في هذا الموقف الفريد و ربما دفعت مشاق الرحلة والأهوال التي كانت تحيط بها دفعت كتاب هذه الرحلات إلى الاهتمام بوصف الطرق والمسالك والمعلومات التي يمكن أن تهدي الحاج وترشده إلى أداء هذه الفريضة المقدسة بدون تحمل للمشاق، واهتم كاتب الرحلة في هذه المرحلة بالوصف الدقيق المفصل للكعبة والمسجد الحرام والمسجد النبوي ولكنه وصف أصم يصلح لأن يقيم به مهندس معماري نموذجاً أو خريطة إذ هو يخلو من شعور الواصف وأحاسيسه.

٥ – ركزت رحلات الحج الهندية في القرن العشرين على الجوانب الروحية من هذه الرحلة المقدسة وتميز أسلوبها بالرصانة والحماس واهتمت بالنواحي الفقهية والأدعية المأثورة عن القرآن والسنة ولم تعد مقصورة على بعض الكتاب بعينهم، بل اهتم بهذا الفن الأديب والسياسي والفقيه والمفكر والقاص وتطورت رحلات الحج فنياً على أيديهم حتى صارت قطعة أدبية رائعة تحتوي على التاريخ والجغرافيا والاجتماع وغيرها من المعلومات التي لم نجدها في الرحلات القديمة.

٦ – حدثت نقلة نوعية في رحلات الحج الهندية بعد تقسيم شبه القارة الهندية إلى دولتي الهند وباكستان وتناولت أقلام الرحالة جميع الجوانب الاجتماعية والسياسية والعمرانية في المملكة ونال توسعة المسجد الحرام والمسجد النبوي في أدوارهما المختلفة من الملك عبد العزيز حتى الملك فهد مساحة كبيرة من اهتمام رحلات الحج الهندية الحديثة.

٧ – مع أن موضوع الرحلة واحد وهو الحج لكنها تختلف باختلاف التجربة الشعورية والإيمانية من كاتب لآخر فكاتب الرحلة من العامة يختلف عن كاتب الرحلة من الخاصة من حيث اللغة والأسلوب والتوجهات والرحالة الرجل يختلف عن الرحالة المرأة، ورجل الدين يختلف عن الأديب في تناوله للأحداث، والرحلة المكتوبة نثراً تختلف عن الرحلة المنظومة شعراً، وقد تنوعت الرحلة بين رحلات فردية ورحلات جماعية ورحلات رسمية، وخيالية، وشعرية ورحلات حج للأطفال، وقد كتبها رجال ونساء، أمراء وفقراء، نثراً وشعراً، واقعاً وخيالاً.

٨ – رحلات الحج وثائق تاريخية مهمة لتاريخ مكة المكرمة ومنطقة الحجاز وتحتاج إلى هيئة علمية كاملة لدراستها وتحليل مضمونها وترجمتها إلى اللغة العربية.

٩ – تركت رحلات الحج الهندية أثرها في علماء شبه القارة الهندية من خلال المجاورة وحضور حلقات الدرس في الحرمين الشريفين ونيل الإجازات العلمية من مكة المكرمة، كما أثرت كذلك في حركات الإصلاح الديني والسياسي والحركات الثورية والتحررية في شبه القارة الهندية، وهناك أثر آخر لا يمكن تجاهله وهو الأثر اللغوي لرحلات الحج الهندية في اللغة الأردية من خلال دخول كلمات عربية لا حصر لها إلى اللغة الأردية. فمن حيث الشكل نجد أن الرحالة الهنود كانوا مولعين بإطلاق أسماء عربية على رحلاتهم وهي في الوقت نفسه تعكس مشاعرهم تجاه الأراضي المقدسة مثل: أرض القرآن، و"رحلة الصديق إلى بيت الله العتيق"، و"السفر اللطيف إلى بيت الله الشريف"، و"جمال الحرمين"، و"راحة القلوب"، و"سبل الرشاد"، و"صراط الحميد" وغيرها. أما من ناحية المضون فنجد أن انتقال المصطلحات العربية الخاصة بالحج والمناسك والأماكن المقدسة وأسماء القرى والمدن التي مروا بها إلى اللغة الأردية قد أسهم في إثرائها حيث كانت تذكر كما هي بالغة العربية، وكان لذلك بليغ الأثر في ظهور وعي ديني كبير بالفقه والأحاديث النبوية.

١٠– يوصي البحث بإنشاء وحدة بحثية خاصة برحلات الحج تتولى جمع هذه الرحلات بلغات العالم الإسلامي المختلفة كالأردية والفارسية والتركية والأندونيسية ولغات جمهوريات أسيا الوسطى كالقازاقية والأوزبكية واللغات الإفريقية كالهوسا والسواحيلي وإعداد فهرس تفصيلي لها وترجمتها إلى اللغة العربية ولو تم هذا العمل – إن شاء الله – وهو ليس بكثير على جامعة تحمل اسم أشرف البقاع "أم القرى" لكان أعظم عمل قدم خدمة لهذه المدينة المقدسة.

الهوامش و التعليقات

١. الدراسات التي تناولت هذا الموضع بالدراسة و التحليل بالاردية

– **انورسديد أردو ادب مين سفرنامه، مغربي باكستان اردو اكيدمي، لاهور ١٩٨٧ ،**

– **انورسديد: حج نامون كي روايت اور اردو حج نامه. نقوش شمارة ١٣٧،**

لاهورديسمبر١٩٨٨ م.

– **محمد ياسين صديقي : حج كى جند اهم سفرنامه . كاروان ادب. لكهنو. سبتمبر١٩٩٦ م. و**

– **بالعربية.**

– **د.سمير عبد الحميد ابراهيم: الجزيرة العربية فى أدب الرحلات الاردى. جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية. الريـــاض.**

١٤١٩ ه/١٩٩٩ م.

– **د.عبد الباسط بدر: قراءة في ادب الرحلة: الادب الذى انبته الاسلام. مجلة الادب الاســـلامى. المجلـــد الاول . العــــدد**

الثالث. الرياض. محرم ١٤١٥ ه.

٢. فريد وجدى : دائرة معارف القرن العشرين مادة (رحل).

ايضا: فيروزاللغات: اردو جديد . لاهور. ١٩٩١ ص: ٤٢٦

٣. أنور سديد: اردو ادب مين سفرنامه. ٤٩–٥٠ .

٤. زكى حسن: الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى . القاهرة. (د.ت) ص.٧

٥. حسين محمد فهيم: ادب الرحلات. عالم المعرفة. الكويت. شوال ١٤٠٩ ه/ يونيو ١٩٨٩ . ص. ٩ .

٦. للمزيد حول رحلة ناصر خسرو ارجع الى:

– ناصر خسرو : سفرنامه. ترجمة الدكتور يحى الخشاب. دار الكتاب الجديد. ط٣، بيروت ١٩٨٣

– دكتور محمد نورالدين عبد المنعم: رحلة ناصر خسرو الى الجزيرة العربية. بحث مقدم لندون الحج الكبرى. مكة المكرمة. ١٤٢٤ ه.

٧. حافظ محمد فقير: ديباجه جمال حرمين از حافظ لدهيانوى. كراجى. ١٩٧٢ . ص ٢٧

٨. ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة. دار الكتاب اللبنانى. بيروت. ص ٩٠ —١١٦ .

٩. حسين محمد فهيم: ادب الرحلات. ص ٨٩ .

١٠. احمد رمضان احمد: الرحلة والرحالة المسلمون. دار البيان العربى. جدة. ١٩٨٥ . ص ١٣.

١١. على رأس هؤلاء النقاد حافظ محمد فقير. و انور سديد انظر: اردو ادب مين سفرنامه ٦٨٣ .

١٢. د.سمير عبد الحميد ابراهيم: الجزيرة العربية فى ادب الرحلات الاردى. ١٨ —١٩ .

١٣. جيلانى كامران: حج كى سفرنامون كى روايت. ماه نو. نوفمبر. ١٩٧٨ ص٥١٠ .

١٤. انور سديد: حج نامون كى روايت اور اردو حج نامه. ٦٧٦ —٦٧٧

١٥. ظهرت ترجمة اردية ثانية للرحلة بعنوان: راحت القلوب/ ترجمة حكيم عرفان على.

١٦. رسالة فرقان. لكهنو. مئ جون ١٩٦١ م. ص ٧ .

١٧. أنور سديد: حج نامون كى روايت اور اردوحج نامه. ٦٧٩ —٦٨٠ .

١٨. أنور سديد: المرجع السابق. ٦٨٠

١٩. انور سديد: المرجع السابق. ٦٨١ —٦٨٢

٢٠. د.سمير عبد الحميد ابراهيم: الجزيرة العربية فى ادب الرحلات الاردى. ص ١٩ .

٢١. حافظ محمد فقير: المرجع السابق. ص ١٧ .

٢٢. انور سديد: اردو ادب مين سفرنامه. ص ٤٧٠

٢٣. حاجی محمد منصب علی خان: ماه مغرب. مطبع کشور هند. میرته. ١٨٧٤ م. ص ٢٩ و٥١ .

٢٤. محمد عمران علی خان: زاد غریب. مطبع کشور هند. میرته.١٨٨٠ م. ص٤٩ و ٥٩ .

٢٥. وزیر حسین بریلوی. وکیل الغربا. مطبع نلکشور. لکهنو. ١٨٨٤ م. ص ٤١ .

ایضا: أنور سدید. اردو ادب مین سفرنامه. ص ٤٧٣ .

٢٦. سید کاظم حسین شیفتة. حرمین شریفین. زمانه حج.١٨٩١ م. ص ٥٦ .

٢٧. مرزا عرفان علی بیك. سفرنامه حجاز. مطبع نلکشور. لکهنو. ١٨٩٥ م. ص١٤٠ .

٢٨. مرزا قاسم بیك. زاد الزائرین. مطبع یوسفی. دهلی. ١٩٠١ م.

٢٩. مولوی سبحان الله جور کهبوری. میرا سفر حج. جورکهبور.١٩٠٣ م. نقلا عن /حج نامون کی روایت اور اردو حج نامه. ٦٨٥

٣٠. د.سمیر عبد الحمید ابراهم. الجزیرة العربیة فی ادب الرحلات الاردی. ١٢٥

٣١. حاجی أحمد حسین. سفرنامه حجاز و مصر. کرزن بریس. دهلی. (ت.ن)ص٥

٣٢. سفرنامه حجاز ومصر.ص٨٥ —٨٦ و د.سمیر عبد الحمید ابراهیم/المرجع السابق /١٦٢ —١٦٣ .

٣٣. سفرنامه حجاز ومصر. ص٩٣ والجزیرة العربیة فی ادب الرحلات الاردی. ص١٦٤ .

٣٤. حاجی محمد لطیف مجهلی شهري. السفر اللطیف الی بیت الله الشریف. مکتبة مجتبائی. لکهنو. ١٩٠٤ م. ص٣٥ .

٣٥. خطیب قادر باد شاه. سفر حجاز. مطبع مدراس. (ت.ن) نقلا عن "حج نامون کی روایت" ٦٨٨

٣٦. مولانا محمد حسین اله ابادی. رحلة المسکین الی البلد الامین. مطبع انور صابری. ١٩٠٦ . ص٤٦ .

ایضا: انور سدید حج نامون کی روایت اور اردو حج نامه. ٦٨٨ —٦٨٩ .

٣٧. للمزید حول هذه الرحلة ارجع الی. محمد مصباح الدین احمد. غنجه حج. جل جمن. لدهیانه ١٩٠٩ م وانور سدید/ اردو ادب مین سفرنامه. ص٤٨٣ .

٣٨. خواجه حسن نظامی/سفرنامه مصر وشام وحجاز. حلقة مشایخ دهلی. ١٩٢٣ م ص١٤١ ،وانور سدید/ حج نامون کی روایت اور اردو حج نامه. ٦٨٩ —٦٩٠

٣٩. رحلة خواجه حسن نظامی الدهلوی فی مصر وفلسطین والحجاز (١٩١١ م) ترجمة د.سمیر عبد الحمید ابراهیم. المجلس الاعلی للثقافة. المشروع القومي للترجمة. القاهرة. ٢٠٠٤ م، ص٢٤٧ .

٤٠. الترجمة العربیة للرحلة /٢٥٦ .

٤١. الترجمة العربیة للرحلة/٢٧٦ .

٤٢. الترجمة العربیة للرحلة/٢٥٧

٤٣. محمود الحسن: سفرنامه شیخ الهند. مکتبة محمودیة. لاهور.١٩٧٤ م.ص٤٩

٤٤. محمود الحسن/ سفرنامه شیخ الهند. (اسیر مالتا) ص٢٠١ والجزیرة العربیة فی ادب الحلات الاردي ص ١٧٦ .

٤٥. محمود الحسن/ سفرنامه شیخ الهند. ص ٦٧–٦٨ ، والجزیرة العربیة فی ادب الرحلات الاردي ١٨٤ .

٤٦. المرجع السابق ص ٦٤–٦٥ والجزیرة العربیة فیا ادب الرحلات الاردي ١٨٣

٤٧. محمد شریف امر تسری/ سفرنامه حج امر تسری. ١٩٢٧ م وحج نامون کی رویات اور اردو حج نامه ٦٩١ .

٤٨. محمد حفیظ الرحمن حفیظ/ سفرنامه حجاز. محبوب المطابع. دهلی. ١٩٣٣ م (المقدمة) و انور سدید/ حج نامون کی رویات اور اردو حج نامه. ٦٩٢ .

٤٩. الیاس برنی، صراط الحمید. طبع اعظم حاجی. حیدر اباد. الهند. ١٩٢٨ م ص١٨٧ . وحج نامون کی رویات اور وحج نامه. ٦٩٢

٥٠. د. و سمیر عبد الحمید ابراهیم: الجزیرة العربیة فی ادب الرحلات الاردی. ١٣١ وانور سدید/ اردو ادب مین سفرنامه ص ٤٨٧.

٥١. عبد الماجد دريا بادى/ سفر حجاز. نسيم بك دبو. دوسرا اديشن. لكهنو. ١٩٦٦ ٤٨-٥٠.

٥٢. عبد الماجد دريا بادى: سفر حجاز. ٢٣٤-٢٣٥ و٢٤٧ .

٥٣. عبد الماجد دريا بادى: سفر حجاز. ٥٩

٥٤. غلام رسول مهر/ يوميات رحلة فى الحجاز. ترجمة د. سمير عبد الحميد ابراهيم. دارة الملك عبد العزيـــز، الريـــاض. ١٤١٧ ه. ص/ ه ون وس

٥٥. غلام رسول مهر. المرجع السابق. ص٥٦-٥٧ .

٥٦. مرزا عبدالحليم بيك. سركذشت حجاز. حيدر اباي. ص٢٥ نقلا عن حج نامون كى رويات اورادرو حجنامه ٦٩٣ .

٥٧. امير احمد علوى/ سفر سعادت ص٤٩تقلا عن اردو ادب مين سفرنامه.٤٨٩ .

٥٨. عبد المجيد صديقى/ سبيل الرشاد. انجمن بنجاب. كراجى. ١٦٣٦ م ص١٢٠

٥٩. حفظ الرحمن وفا/ راه وفا. دهلى. ١٩٣٥ م

٦٠. عزيز الرحمن عزيز/ حج صادق. بهاول بور. ١٩٣٧ م ص٢١١ وحج نامون كى رويات اور اردو حج نامه. ٦٩٢ والجزيـــرة العربية فى ادب الرحلات الاردى. ٥٢٨-٥٢٩ .

٦١. مسعود عالم ندوى/ ديار عرب مين جند ماه. مكتبة جراغ راه. كراجى. ١٩٥٥ م نقلا عن حج نامون كى رويات اور اردو حج تامه. ٦٩٦ .

٦٢. ابو الحسن ندوى/ شرق اوسط مين كياديكها. لكهنو. والجزيرة العربية فى ادب الرحلات الاردى. ص١٣٦ .

٦٣. محمد صديق خير ابادى/ رحلة الصديق الى البيت العتيق. كارخانه فقير محمد. لكهنو. ت.ن.

٦٤. فضل الدين/ديار حبيب كى بانين. مكتبة نسيم جهلم. ١٩٥٦ م

٦٥. عبد الكريم ثمر/ سفر حجاز. انينه ادب. لاهور. ١٩٥٨ م

٦٦. عبد الصمد صارم/ سفرنامه حج وزيارت. دار الاشاعت. لاهور.١٩٥٩ م

٦٧. سمير عبد الحميد ابراهيم/ الجزيرة العربية فى ادب الرحلات الاردى.٣٤٤-٣٤٥ .

٦٨. مولانا ابى الاعلى المورودى/ سفرنامه ارض القران. اسلامك بيلى كيشن. لاهور ١٩٧٠ م١٦٨ والمرجع الســـابق ص ٣٧٢-٣٧٣

٦٩. العلامة القاضى محمد سليمان المنصور بورىداعية على مسلك اهل السلف الصالح، ومفسر للقران مؤرخ وباحث محقـــق ذاع صيته بعد ان كتب موسوعته فى السيرة النبوية باسم "رحمة للعالمين" وقد ترجمها الدكتور سمير عبد الحميد ابراهيم نشرتها مكتبة دار الاسلام بالريـــاض ١٤١٨ ه. (الجزيرة العربية فى ادب الرحلات الاردى ١٨٧)

٧٠. قاضى محمد سليمان منصور بورى/ سفرنامه حجاز. اشاعت ثانى. ١٩٨٦ م ص٧٩ نقلا عن سمير عبد الحميد ابراهيم. الجزيرة العربية فى ادب الرحلات الاردى ١٨٧

٧١. المرجع السابق/ ١٠٣ .

٧٢. نسيم حجازى/ باكستان مين ديار حرم تك. دين محمد اندستر. لاهور. ١٩٦٠ م ١٤٦ نقلا عن حج نامون كى رويـــات اور اردو حج نامه ص٦٩٩ .

٧٣. سلطان داود/ سفرنامه حجاز. نور كمبنى. لاهور. ١٩٦٣ م ص٧ نقلا عن حج نامون كى رويـــات اور اردو حجنامـــه ص ٧٠٠ .

٧٤. مفتاح الدين ظفر/ سفر مقدس. مكتبة رشيدية. لاهور. ١٩٦٦. ص٢

٧٥. الطاف حسين قريشي/ قافلة دل كى جلى. اردو دايجست. ١٩٦٧ م

٧٦. راجه محمد شريف/ ائينه حجاز. جوهر اباد.١٩٧٥ .

٧٧. محمد شفيع صابر/ سفرنامه حج وزيارت. بشاور. ١٩٧٢ م

٧٨. محمد شجاع ناموس/ سفرنامه حج وحرمين. ميرى لائبريرى. لاهور. ١٩٧٣

٧٩. للمزيد فى هذه الموضوع انظر/ انور سديد. حج ناموں کی رويات اور اردو حـــج نامـــه. ٧٠٣-٧١٠ . واردو ادب مـــين سفرنامه ٥٠٠-٥١٢ .

٨٠. ممتاز مفتى/ لبيك. مطبع التحرير. لاهور. ١٩٧٥ م

٨١. داكتر نصير احمد ناصر/ روداد سفر حجاز. فيروز ستر. لاهور (ت.ن) وكان الدكتورنصير مديرا للجامعة الاســـلامية فى بهـــا ولبور بباكستان وحصل على جائزة التأليف من رابطة العالم الاسلامى عن كتاب بعنوان "الرسول الاعظم الخاتم".

٨٢. صادق قريشى/ بهر سوى حرم. دار الادب. لاهور. ١٩٨١ م

٨٣. محمد زبير/ جند دن حجاز مين/ قمر كتاب كهر. كراجى. ١٩٨٦ م.

٨٤. فريد أحمد براجة : سفر شوق البدر ببلكيشتر . لاهور . ١٩٨١ ص ٦١.

٨٥. أحمد خان دراني : نوركي نديان . كاردان أدب . ملتان . ١٩٨٣م ص ٥٤.

٨٦. حافظ لدهيانوى : جمال حرمين . بورت ترست كراجي .باردوم . ١٩٨٣ ص٣٩. ولد حافظ لدهيانوي في لدهانة عـــام ١٣٣٩هـــ / ١٩٢١ م . حفظ القرآن الكريم وأكمل تعليمه سنة ١٣٦٣ هـــ / ١٩٤٤ ، وبرع في قول الشعر وظل يقرضة من عام ١٣٥٦ هــــ / ١٩٣٨ م . حتى عام ١٣٩٠ هـــ ١٩٧٠ م ، واتبع أسلوب الشعراء الكلاسيكيين ، ثم اقتصر منذ عام ١٣٩٠ هـــ / ١٩٧٠ م على نظـــم المـــدائح النبوية فقط . (الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي : ٣٤٩ — ٤٤٠.

٨٧. أسعد جيلاني : مشاهدات حرمين . ترجمان القرآن . لاهور . ١٩٨٤ م .

٨٨. جودري محمد أسلم : حرم ميي دو سو روز . ويزن ببليكيشنز . لاهور . ١٩٨٥م نقلاً عن حج ناموں كـــي روايـــت أور أردو حج نامه . : ٧١٨ .

٨٩. غلام الثقلين نقوى : أرض تمنا . اوراق لاهور . ١٩٨٦م . ص : ١٤ .

٩٠. انور سديد : حج ناموں كي روايت اور اوردوحج نامه . ٧٢١ —٧٢٣ .

٩١. عبد الباسط بدر : قراءة في الرحلة الأدب الذي أنبته الإسلام . مجلة الأدب الإسلامي المجلد الأول. العدد الثالث . محرم ١٤١٥ هـــ ص ١٣ — ١٤

٩٢. مولانا رفيع الدين المراد آبادي : الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية . ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم . المجلـــس الأعلـــى للثقافة . القاهرة . ٢٠٠٤م .

٩٣. الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية (الترجمة العربية) : ١٥.

٩٤. المرجع السابق (مقدمة المترجم) : ٧ — ٨

٩٥. المرجع السابق : ٢١ — ٢٢

٩٦. المرجع السابق : ٢٢ —٢٣

٩٧. المرجع السابق : ٦٤

٩٨. المرجع السابق : ٨٣ —٨٥

٩٩. المرجع السابق : ٩١

١٠٠. المرجع السابق : ٩٣

١٠١. المرجع السابق : ١١٤

١٠٢. المرجع السابق : ١٢١

١٠٣. المرجع السابق : ١٣٠

١٠٤. المرجع السابق : ١٤٦

١٠٥. المرجع السابق : ١٦١

١٠٦. مسعود عالم الندوي : ديار عرب مين جند ماه (شهور في ديار عرب) . ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم . مكتبة الملك عبد العزيز العامة . الرياض . ١٤١٩هـــ / ١٩٩٩ ص ٩

١٠٧. دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم : الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي . ٢٦٨ . ولد العلامة مسعود عالم الندوي سنة ١٣٢٩ هـ / ١٩٠٨م والتحق بدار العلوم . ندوة العلماء في مدينة لكهنو الهندية وعمل في مجال الدعوة الإسلامية والصحافة العربية فأسس مجلة الرائد وقد أطلق عليه بعض أهل الهند أنه " ندوى ' وهابي ' عربي " وكتب كتابه " سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي ترجم بعد ذلك إلى العربية بعنوان :

" محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه " . (شهور في ديار العرب : الترجمة العربية ص ١٨) وتوفي في الحادي عشر من رجب ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م.

١٠٨ المرجع السابق : ٢٩

١٠٩ المرجع السابق : ٣٩٩ – ٤٠١ .

١١٠ المرجع السابق : ٤١١ – ٤١٢ .

١١١ المرجع السابق : ٥١٩ – ٥٢٠ .

١١٢ المرجع السابق : ٥٣١ – ٥٣٢ .

١١٣ المرجع السابق : ٣٩٢ .

١١٤ أسست إمارة بهوبال بوسط الهند على يد قائد أفغاني هو دوست محمد خان في بداية القرن الثامن عشر وكانت دولة المغول تحتضر وانخرطت الإمارة في معاهدة مع شركة الهند المركزية من قبل الإنجليز ، ووصلت الإمارة إلى أعلى درجات التطور والازدهار في عهد الأميرة سلطان جهان بيجم

١١٥ سلطان جهان بيجم : جوهر اقبال. بهو بال . ١٩٠١ . ٤٥ –٤٦

١١٦ سلطان جهان بيجم : سفر حجاز . بهو بال

١١٧ المرجع السابق : ٦٥ – ٦٦

١١٨ المرجع السابق : ٦٩ – ٧٤

١١٩ المرجع السابق : ٧٥ – ٨١

١٢٠ المرجع السابق : ٢١٨ – ٢٢٣

١٢١ انظر : محمود عثمان حيدر : مشاهدات بلاد اسلاميه . اداره علم مجلسي . كراجي ١٩٦٢م

١٢٢ انظر كنيز محمد بيجم أرض مقدس اسلامك اكادمي . سيالكوت . ١٩٦٦

١٢٣ انظر وحيدة نسيم : حديث دل . غضنفر اكادمي . كراجي . ١٩٨٠م

١٢٤ انظر : سيدة حميدة فاطمة : لاهور سي ديار حبيب تك الحمرا برنطرز . لاهور ١٩٨٣م

١٢٥ زبيدة حيي : زهى نصيب . لغت اكادمي . فيصل آباد . ١٩٨٣

١٢٦ سمير عبد الحميد إبراهيم : الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي : ٣١٨ – ٣٢٠

١٢٧ ماهر القادري قافلة الحجاز . طبعة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م نقلاً عن : بحث " أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية . ندوة الحج الكبرى . مكة المكرمة ١٤٢٣ هـ : ٤٢٨ – ٤٣٠ .

١٢٨ الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي : ٤٨٥ – ٤٦٢ .

١٢٩ سيد محمد عبد العزيز شرقي : فيوض الحرمين . ملتان . باكستان . ذو القعدة ١٤٠٠ هـ / أكتوبر ١٩٨٠ م نقلاً عن : الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي : ٤٦٤ – ٤٦٦ .

١٣٠ د. شوقي ضيف : الرحلات . دار المعارف . القاهرة ١٩٥٦ ص٧ أيضاً د. حسين نصار : أدب الرحلة . الشركة المصرية للنشر . مكتبة لبنان ١٩٩١ م ص ٤٨ د. حسين محمد فهيم : أدب الرحلات عالم المعرفة (١٣٨) الكويت ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م . ص ١٦٦ .

١٣١ محمد اقبال : جاويد نامه. ترجمة الدكتور السعيد جمال الدين . سجل العرب . القاهرة ١٩٧٧م .

١٣٢ محمد اقبال : بانك درا . ايجوكيشنل بك هاوس – على كره . ١٩٩٩٥م ص ١٦١وجلال السعيد الحفناوي : الترجمة العربية (صلصلة الجرس) المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة ٢٠٠٤-١٠-٠٩

١٣٣ سمير عبد الحميد إبراهيم : الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي : ص ٤٦٩.

١٣٤ سمير عبد الحميد إبراهيم : هدية العائد من أرض الحجاز . مجلة الحج والعمرة . جدة . ذو الحجة ١٤٢٤ هـ / يناير – فبراير ٢٠٠٤م ص ٨٥

١٣٥ محمد اقبال : ارمغان حجاز . ترجمة د. سمير عبد الحميد إبراهيم . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة ٢٠٠٤ م ص ١١ و ٣٥ .

١٣٦ المرجع السابق : ٢٣٤

١٣٧ انور سديد : حج نامون كي روايت اور اردو حج نامه : ص ٧٢١

١٣٨ ظهير الدين بابر : بابر نامه لاهور ١٩٧٥ ص ٥٢٣ .

١٣٩ نواب شاه خان : مآثر الأمراء (الترجمة الأردية لأيوب قادري) لاهور . ١٩٦٨ م . ص ٣٧٨ .

١٤٠ همايون : همايون نامه . (الترجمة الإنجليزية) لندن . ١٩٠٢ ص ٦٩ .

١٤١ رفيع الدين فاروقي : سفر نامه حجاز (مشاهدات حرمين شريفين) ترجمة د. سمير عبد الحميد إبراهيم . ص٧٧ .

١٤٢ الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . مكتبة النهضة الحديثة . مكة المكرمة ١٩٥٦م الجزء الأول ص ٣٢٩ .

١٤٣ عبد الله عبد الرحمن بن صالح : تاريخ التعليم في مكة المكرمة . الطبعة الثالثة . مؤسسة الرسالة . بيروت . ١٤٢٢هـ ص ٥٨ . وأيضاً :النهروالي (قطب الدين محمد) : كتاب الإعلام بأعلام البيت الحرام ' مكتبة مكة المكرمة 'المكتبة العلمية ١٣٧٠هـ ص١٨٦ .

١٤٤ عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند . دار العهد الجديد للطباعة . القاهرة . ١٣٧٨هـ ص ١٥٩

١٤٥ رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي : إظهار الحق . الجزء الأول . دار الوطن للنشر تحقيق محمد أحمد ملكاوي . الرياض . ١٤١٢ هـ ص ٢١ .

١٤٦ السباعي (أحمد) تاريخ مكة . مطابع قريش . مكة المكرمة ١٣٨٠ هـ الجزء الثاني . ص ٦٥٥ – ٦٥٦

١٤٧ محمد السعيد الخطراوي : مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة : الموقع والتاريخ الرائد ط ١١ . ١٤١١ هـ

١٤٨ عبد الرحمن الصباغ تربية النشء في المنزل والمدرسة والمجتمع . القاهرة ١٣٨١ هـ . الجزء الثاني ص ١٦٦ .

١٤٩ عبد اللطيف بن دهيش : الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما . دار خضر . بيروت . ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧م ص ٣٣ – ٣٤ .

١٥٠ عبد الحق النقشبندي : تراجم علماء المدينة المنورة . مجلة المنهل . السنة ٤٨ ' المجلد ٤٤ ' رمضان – شوال ١٤٠٢ هـ / يوليو أغسطس ١٩٨٢م ص ٤٧٣ – ٤٤٠ .

١٥١ شاه ولي الله دهلوي . حجة الله البالغة . دار المعرفة . بيروت (د . ت) ٢ / ٦٠ .

١٥٢ انظر : الشيخ أبو الحسن الندوي : الإمام الدهلوي . سلسلة رجال الدعوة والفكر الجزء الرابع . دار القلم . الكويت ط١ . ١٩٨٥م

١٥٣ جلال السعيد الحفناوي : جهود الهنود في الترجمات الأردية للقرآن الكريم . مجلد ٤٩ . عدد ٢ – ٣ . ١٩٩٨ .

١٥٤ المؤلف مجهول : تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري . تحقيق الدكتور محمد التونجي . جدة ١٤٠٤ هـ ص ١٠٦ .

١٥٥ معجم المؤلفين : ٩٠ / ١٧ – ١٨ وحاجي خليفة : كشف الظنون : ١٢٦ ، ٢٣٩.

١٥٦ أبو الخير عبد الله بن أحمد المكي مرداد : نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر . تحقيق واختصار وترتيب محمد سعيد العامودي وأحمد علي . جدة . عالم المعرفة ١٩٨٦م .

١٥٧ للمزيد عن هذا الموضوع ارجع إلى بحث . دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم : مكة المكرمة وأثرها في فكر الشيخ رحمة الله الكيرواني . ندوة الحج الكبرى ١٤٢٤ هـ .

١٥٨ انظر : محمد سرور : مولانا عبيد الله سندهي . لاهور ١٩٤٢ . أيضا محمد سرور : مقالات مولانـا عبيـد الله سندهى . لاهور ١٩٧٠م . أيضاً : سمير عبد الحميد : أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية . ندوة الحج الكبرى . مكـة المكرمـة ١٤٢٣ هـ ص ٤١٦ — ٤١٧ .

١٥٩ معين الدين عقيل : تحريك ازادي مين اردو كاحصة . انجمن ترقي اردو باكستان . كراجي ص ٤٧ .

١٦٠ عبيد الله سندهي : شاه ولي الله كي سياسي تحريك . لاهور. ١٩٤٥ . ص ٦٣

١٦١ رودلف بيترز : الإسلام والاستعمار : عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث ، القاهرة ١٩٨٥ م . ص. ٦٣

١٦٢ شاه عبد العزيز : فتاوى عزيزية : مطبعة مجتباي دهلي . جلد أول . ١٢١٨ هـ ص ١٦ — ١٧.

١٦٣ معين الدين عقيل : تحريك ازادي مين اردو كاحصة . ص ٥١ .

١٦٤ محمد اكرام : موج كوثر . ادارت ثقافت اسلاميه لاهور . ط١٩ ١٩٧٥ ص ١٥ — ١٦ .

١٦٥ ولد السيد أحمد شهيد بريولي سنة ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦ م في راي بريلي وحفظ القرآن الكريم بها وبايع شاه عبد العزيز وهو في الثانية والعشرين وانضم إلى جنود نواب أمير خان والي تونك سنة ١٨١٠م ' وقضى عنده ست سنوات أكمل فيها تدريباته العسكرية وأتقـن فـن الجندية ، وفي سنة ١٨١٦م رحل إلى دلهي وبدأ في سلسلة إرشاده ووعظهوتأثر في ذلك بشاه ولي الله الدهلوي ' وقام بتنفيذ أفكاره ونظرياته عمليـاً ، وحارب الإنجليز والسيخ واستشهد في عام ١٨٣١م . (هنتر: هماري هندستاني مسلمان . ترجمة صادق حسين . لاهور . (د . ت) ص ١١٨

١٦٦ سيد أبو الحسن الندوي : سيرت سيد أحمد شهيد . لكهنو . ١٩٤١ . ص ١١٠ أيضاً غلام رسول مهر : سيرت أحمد شهيد . لاهور . ١٩٥٥م . ص ٨٩ .

١٦٧ محمد اكرام : موج كوثر: ص ٢٢ — ٢٣ .

١٦٨ سيد أبو الحسن الندوي : المرجع السابق ص ١٥ ومحمد اكرام : موج كوثر : ص ٢٧ — ٣١ .

١٦٩ غلام رسول مهر : اهاره سوستاون كي مجاهد . لاهور . ط١ ١٩٧١م . ص ٦٣ .

١٧٠ محمد اكرام : موج كوثر ص٥٨ .

١٧١ قيام الدين أحمد : هندوستان مين وهابي تحريك كلكته . ١٩٦٦م ص ٣٥٨ — ٣٦٣

المصادر والمراجع

أولاً المراجع الأردية :

١. .
٢. أبو الحسن الندوي : سيرت سيد أحمد شهيد . لكهنو. ١٩٤١م .
٣. أبو الحسن ندوي : شرق اوسط مين كيا ديكها . لكهنو . ١٩٥٦م .
٤. أحمد خان داراني : نور كي نديان . كاروان ادب . ملتان . ١٩٨٣م .
٥. أمير احمد علوي : سفر سعادت . لاهور . ١٩٦٨م .
٦. أنور سديد أردو أدب مين سفرنامة . مغربي باكستاني . اردو اكيدمي . لاهور . ١٩٨٧
٧. اسعد جيلاني : مشاهدات حرمين . ترجمان القرآن . لاهور . ١٩٨٤م .
٨. جودري محمد اسلم : حرم مين دو سو روز . ويزن . ببليكيشنز . لاهور . ١٩٨٥م .
٩. حاجي أحمد حسين : سفر نامه حجاز ومصر . كرزن بريس . دلهي . (ت . ن)
١٠. حاجي محمد لطيف مجهلي شهري : السفر اللطيف إلى بيت الله الشريف . مكتبة مجتبائي . لكهنو . ١٩٠٤م .
١١. حاجي محمد منصب علي خان : ماه مغرب . مطبع كشور هند . ميرته . ١٨٧٤م .
١٢. حافظ لدهيانوي : جمال حرمين . بورت ترست . كراجي . باردوم . ١٩٨٣م .
١٣. حافظ محمد فقير : ديباجه جمال حرمين از حافظ لدهيانوي . كراجي . ١٩٧٢م
١٤. حفظ الرحمن وفا : راه وفا . دهلي . ١٩٣٥م .
١٥. خطيب قادر بادشاه : سفر حجاز . مطبع مدراس (ت . ن) .
١٦. خواجه حسن نظامي : سفر نامه مصر وشام وحجاز . حلقه مشايخ دهلي . دهلي . ١٩٢٣م .
١٧. راجه محمد شريف : آئينه حجاز . جوهر آباد . ١٩٧٥م .
١٨. زبيدة حي : زهى نصيب . لغت اكادمي . فيصل آباد . ١٩٨٣م .
١٩. سلطان جهان بيكم : جوهر اقبال . بهوبال . ١٩٠١م .
٢٠. سلطان جهان بيكم : سفر نامه حجاز . بهوبال . ١٩٠٣م .
٢١. سلطان داود : سفر نامه حجاز . نور كمبني . لاهور . ١٩٦٣م .
٢٢. سيد كاظم حسين شيفته : حرمين شريفين . زمانه حج . ١٨٩١م .
٢٣. سيد محمد عبد العزيز شرقي : فيوض الحرمين . ملتان . باكستان . ذو القعدة ١٤٠٠ هـ / أكتوبر ١٩٨١م .
٢٤. سيده حميده فاطمه : لاهور سي ديار حبيب تك . الحمرا برنترز . لاهور . ١٩٨٣م .
٢٥. شاه عبد العزيز : فتاوى عزيزية . مطبعه مجتباي . دهلي . جلد اول . ١٢١٨ هـ .
٢٦. صادق قريشي : بهرسوي حرم . دار الأدب . لاهور . ١٩٨١م .
٢٧. الطاف حسين قرشي : قافله دل كي جلي . اردو دايجست . ١٩٦٧م .
٢٨. ظهير الدين بابر : بابر نامه . لاهور . ١٢٩٧٥م .
٢٩. عبد الصمد صارم: سفر نامه . حج وزيارت . دار الاشاعت . لاهور . ١٩٥٩م.
٣٠. عبد الكريم ثمر : سفر حجاز .آئينه أدب . لاهور . ١٩٥٨م .
٣١. عبد الماجد دريابادي : سفرحجاز . نسيم بك دبو. لكهنو . ١٩٦٦م .
٣٢. عبد المجيد صديقي : سبيل الرشاد ٠ انجمن بنجاب . كراجي . ١٩٣٦م .
٣٣. عبيد الله سندهي : شاه ولي الله كي سياسي تحريك . لاهور . ١٩٤٥م .
٣٤. عزيز الرحمن عزيز : حج صادق . بهاولبور . ١٩٣٧م .
٣٥. غلام الثقلين نقوى : ارض تمني . لاهور . ١٩٨٦م .
٣٦. غلام رسول مهر : اتهاره سو ستاون كي مجاهد . لاهور . ط١ . ١٩٧١م .
٣٧. غلام رسول مهر : سيرت سيد أحمد شهيد . لاهور . ١٩٥٥م .

٣٨. فريد أحمد براجه : سفر شوق . البدر ببليكيشنز . لاهور . ١٩٨١م .
٣٩. فضل الدين : ديار حبيب كي باتين . مكتبة نسيم جهلم . ١٩٥٦م .
٤٠. قاضي محمد سليمان منصور بوري : سفر نامه حجاز . نور كمبني . لاهور. ١٩٦٨م.
٤١. قيام الدين أحمد : هندوستان مين وهابي تحريك . كلكتا . ١٩٦٦م .
٤٢. كينز محمد بيجم : ارض مقدس . اسلامك اكادمي . سيالكوت . ١٩٦٦م .
٤٣. محمد اقبال : بانك درا . ايجو كشنل بك هاوس . على كره . ١٩٩٥م .
٤٤. محمد اكرام : موج كوثر . ادارت ثقافت اسلاميه . لاهور . ط١٩ . ١٩٧٥م .
٤٥. محمد حسين إله آبادي : رحلة المسكين إلى البلد الأمين . مطبع أنوار صبري . ١٩٠٦ .
٤٦. محمد حفيظ الرحمن حفيظ : سفر نامه حجاز . محبوب المطابع . دهلي . ١٩٣٣م .
٤٧. محمد زبير : جند دن حجاز مين . قمر كتاب كهر . كراجي . ١٩٨٦م .
٤٨. محمد سرور : مقالات مولانا عبيد الله سندهي . لاهور١٩٧٠م .
٤٩. محمد سرور : مولانا عبيد الله سندهي . لاهور . ١٩٤٢م .
٥٠. محمد شجاع ناموس : سفر نامه . حج وحرمين . ميري لانيري . لاهور . ١٩٧٣م .
٥١. محمد شريف امرتسري : سفر نامه حج . امرتسري . ١٩٢٧ .
٥٢. محمد شفيع صابر . سفر نامه حج وزيارت . بشاور . ١٩٧٢م .
٥٣. محمد صديق خير آبادي : رحلة الصديق الى البيت العتيق . كارخانه . فقير محمد . لكهنو . (ت – ن) .
٥٤. محمد عمران علي خان : زاد غريب . مطبع كشور هند . ميرته ١٨٨٠م .
٥٥. محمد مصباح الدين أحمد : غنجة حج . جل جمن . لدهيانة . ١٩٠٩م .
٥٦. محمود الحسن : سفر نامه شيخ الهند . مكتبة محمودية . لاهور . ١٩٧٤ .
٥٧. محموده عثمان حيدر : مشاهدات بلاد اسلاميه . اداره علم مجلسي . كراجي . ١٩٦٢م
٥٨. مرزا عبد الحليم بك : سركذشت حجاز . حيدر آباد . ١٩٦٦م .
٥٩. مرزا عرفان علي بيك : سفر نامه حجاز . مطبع نلكشور . لكهنو . ١٨٩٥م .
٦٠. مرزا قاسم بيك : زاد الزائرين . مطبع يوسفي . دلهي . ١٩١٠م .
٦١. مسعود عالم ندوي : ديار عرب مين جندماه . مكتبة جراغ راه . كراجي . ١٩٥٥م .
٦٢. معين الدين عقيل : تحريك آزادي مين اردو كا حصة .انجمن ترقي اردو بلكستان . كراجي . ١٩٧٦م .
٦٣. مفتاح الدين ظفر : سفر مقدس . مكتبة رشيدية . لاهور . ١٩٦٦م .
٦٤. ممتاز مفتي : لبيك . مطبع التحرير . لاهور . ١٩٧٥م .
٦٥. مولانا ابي الاعلى المودودي : سفر ارض القرآن . اسلامك ببليكشنز . لاهور . ١٩٧٠
٦٦. مولوي سبحان الله جوركهبوري : ميرا سفر حج . جوركهبور . ١٩٠٣
٦٧. نسيم حجازي : باكستان سي ديار حرم تك . دين محمد اندستر . لاهور . ١٩٨٦م .
٦٨. نصير احمد ناصر : روداد سفر حجاز . فيروز سنز . لاهور . (ت – ن)
٦٩. نواب شاه خان : مآثر الامراء (الترجمة الأردية لأيوب قادري) لاهور . ١٩٦٨م .
٧٠. همايون : همايون نامه (الترجمة الإنجليزية) لندن . ١٩٠٢م .
٧١. هنتر : هماري هندستان مسلمان . ترجمة صادق حسين . لاهور . (د . ت)
٧٢. وحيدة نسيم : حديث دل . غضنفر اكادمي . كراجي . ١٩٨٠م .
٧٣. وزير حسن بريلوي : وكيل الغربا . مطبع نلكشور . لكهنو . ١٨٨٤م .
٧٤. الياس برني : صراط الحميد . طبع اعظم حاجي . حيدر آباد . الهند . ١٩٢٨م .

ثانياً المصادر العربية والمترجمة :

١. النهروالي (قطب الدين محمد) : كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام . مكتبة مكة المكرمة .

المكتبة العلمية . ١٣٧٠هـ .
٢. أبو الحسن الندوي : الإمام الدهلوي . سلسلة رجال الدعوة والفكر . ج٤ دار القلم الكويت . ط١ . ١٩٨٥م .
٣. أبو الخير عبد الله بن أحمد المكي مرداد : نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر . تحقيق واختصار وترتيب محمد سعيد العامودي وأحمد على . جدة . عالم المعرفة . ١٩٨٦م .
٤. أحمد السباعي : تاريخ مكة . مطابع قريش . مكة المكرمة . ١٣٨٠هـ
٥. أحمد رمضان أحمد : الرحلة والرحالة المسلمون . دار البيان العربي جدة . ١٩٨٥م .
٦. ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة . دار الكتاب اللبناني . بيروت (د . ت) .
٧. حسين محمد فهيم : أدب الرحلات . عالم المعرفة . الكويت . شوال ١٤٠٩هـ / يونيو ١٩٨٩م .
٨. حسين نصار (دكتور) : أدب الرحلة . الشركة المصرية للنشر . مكتبة لبنان . ١٩٩١م .
٩. خواجه حسن نظامي : رحلة خواجه حسن نظامي الدهلوي في مصر وفلسطين والحجاز (١٩١١) . ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . ٢٠٠٤م .
١٠. رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي : اظهار الحق . الجزء الأول . دار الوطن للنشر . تحقيق محمد أحمد ملكاوي . الرياض . ١٤١٢هـ .
١١. رفيع الدين المراد آبادي : الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية . ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . ٢٠٠٤م .
١٢. رودلف بيترز : الإسلام والاستعمار . عقيدة الجهاد في التاريخ الحديث . القاهرة ١٩٨٥م
١٣. زكي حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى . القاهرة . (د . ت) .
١٤. سمير عبد الحميد إبراهيم (دكتور) : الأدب الأردي الإسلامي . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض . ١٤١٧هـ
١٥. سمير عبد الحميد إبراهيم (دكتور) : الجزيرة العربية في أدب الرحلات الأردي . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض . ١٤١٩هـ /١٩٩٩م .
١٦. شاه ولي الله الدهلوي : حجة الله البالغة . دار المعرفة . بيروت (٠ د . ت ٩)
١٧. شوقي ضيف (دكتور) : الرحلات . دار المعارف . القاهرة . ١٩٥٦.
١٨. عبد الرحمن الصباغ : تربية النشء في المنزل والمدرسة والمجتمع . القاهرة ١٣٨١هـ .
١٩. عبد اللطيف بن دهيش : الكتاتيب في الحرمين الشريفين وما حولهما . دار خضر بيروت . ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
٢٠. عبد الله عبد الرحمن بن صالح : تاريخ التعليم في مكة المكرمة . ط٣ . مؤسسة الرسالة بيروت . ١٤٢٢هـ .
٢١. عبد المنعم النمر : تاريخ الإسلام في الهند . دار العهد الجديد للطباعة . القاهرة . ١٣٧٨هـ
٢٢. غلام رسول مهر : يوميات رحلة في الحجاز . ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم . دارة الملك عبد العزيز . الرياض . ١٤١٧هـ .
٢٣. الفاسي (تقي الدين محمد بن أحمد) : شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام . مكتبة النهضة الحديثة . مكة المكرمة . ١٩٥٦م
٢٤. مؤلف مجهول : تراجم أعيان المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري . تحقيق الدكتور محمد التونجي . جدة . ١٤٠٤هـ .
٢٥. محمد إقبال : ارمغان حجاز . ترجمة : دكتور/ سمير عبد الحميد إبراهيم . المجلس الأعلى للثقافة . القاهرة . ٢٠٠٤م
٢٦. محمد إقبال : بانك دارا : ترجمة : دكتور / جلال السعيد الحفناوي . المجلسالأعلى للثقافة . القاهرة . ٢٠٠٤م .

٢٧. محمد إقبال : جاويد نامه : ترجمة دكتور / محمد السعيد جمال الدين . سجل العرب . القاهرة . ١٩٧٧م .
٢٨. محمد العيد الخطراوي : مدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة . الموقع والتاريخ . ط١ . ١٤١١هـ .
٢٩. محمد سليمان المنصور بوري : رحمة للعالمين . ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم . مكتبة دار السلام . الرياض . ١٤١٨هـ
٣٠. مسعود عالم الندوي : شهور في ديار العرب . ترجمة دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم مكتبة الملك عبد العزيز العامة . الرياض .١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
٣١. ناصر خسرو : سفر نامه . ترجمة الدكتور يحيي الخشاب . دار الكتاب الجديد . ط٣ . بيروت . ١٩٨٣م .

ثالثاً : المقالات والبحوث العربية والأردية :

١- أنور سديد (دكتور) : حج نامون كي روايت اور اردو حج نامه . نقوش . شمارة . ١٣٧ . لاهور .ديسمبر . ١٩٨٨م .
٢- جلال السعيد الحفناوي (دكتور) : جهود الهنود في الترجمات الأردية للقرآن الكريم . مجلة ثقافة الهند . نيو دلهي . مجلد ٤٩ . عدد ٢ – ٣ . ١٩٩٨م .
٣- جيلاني كامران : حج كي سفر نامون كي روايت . ماه نو. نوفمبر ١٩٧٨م .
٤- سمير عبد الحميد إبراهيم (دكتور) : أثر مكة والحج في ثقافة وأدب شبه القارة الهندية . . ندوة الحج الكبرى . مكة المكرمة ١٤٢٣هـ .
٥- سمير عبد الحميد إبراهيم (دكتور) : هدية العائد من أرض الحجاز . مجلة الحج والعمرة . جدة . ذو الحجة ١٤٢٤هـ / يناير – فبراير ٢٠٠٤م .
٦- سمير عبد الحميد إبراهيم(دكتور) : مكة المكرمة وأثرها في فكر الشيخ رحمة الله الكيرانوي . ندوة الحج الكبرى . مكة المكرمة . ١٤٢٤هـ .
٧- عبد الباسط بدر (دكتور) : قراءة في أدب الرحلة الأدب الذي أنبته الإسلام . مجلة الأدب الإسلامي . المجلد الأول . العدد الثالث . الرياض . محرم . ١٤١٥هـ .
٨- عبد الحق النقشبندي : تراجم علماء المدينة المنورة . مجلة المنهل . السنة ٤٨ المجلد ٤٤ . رمضان / شوال ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
٩- محمد نور الدين عبد المنعم (دكتور) : رحلة ناصر خسرو لإلى الجزيرة العربية . ندوة الحج الكبرى . مكة المكرمة . ١٤٢٤هـ
١٠- محمد ياسين صديقي : حج كي جند اهم سفر نامه . كاروان أدب . لكهنو . سبتمبر ١٩٩٦م .

رابعاً : المعاجم :

- فيروز اللغات . اردو جديد . لاهور . ١٩٩١م .

خامساً : الدوريات :

- رسالة فرقان . لكنهو . مئي جون .١٩٦١م .

سادساً : دوائر المعارف :

- دائرة معارف القرن العشرين .

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الأستاذ الدكتور / محمد بن علي العقلا

وكيل الجامعة للدراسات العليا والبحث العلمي . رئيس اللجنة العلمية لمناسبة اختيار مكة عاصمة للثقافة الإسلامية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد

فكل عام وأنتم بخير بمناسبة حلول شهر رمضان المعظم أعاده الله عليكم وعلى الأمة الإسلامية بالخير واليمن والبركات أتشرف بأن أقدم لسيادتكم بحثي هذا وهو بعنوان : **رحلات الحج الهندية وأثرها في مسلمي شبه القارة الهندية .**

مع خالص تقديري وإعزازي

د. جلال السعيد الحفناوي
أستاذ اللغات الشرقية الإسلامية المساعد
الجامعة المصرية للثقافة الإسلامية
ألماطى ـ قازاقستان
فاكس :٠٠٧٣٢٧٢٤٩٦٩٩٥
E. mail :ghefnawi@yahoo.com

الاستمارة

الاسم الأول : **جلال** اسم الأب : **السعيد** اسم العائلة : **الحفناوي**
مسمى الوظيفة : أستاذ مساعد الجهة التابع لها : الجامعة المصرية للثقافة الإسلامية
عنوان المراسلة : فاكس :٠٠٧٣٢٧٢٤٩٦٩٩٥أو E. mail :ghefnawi@yahoo.com
المدينة : **ألماطي** الدولة : **قازاقستان**
هاتف العمل : ٠٠٧٣٢٧٢٤٨٣٢٨٢ هاتف منزل : ٠٠٧٣٢٧٢٧٣٩٨٦٠
فاكس :٠٠٧٣٢٧٢٤٩٦٩٩٥

عنوان البحث : **رحلات الحج الهندية وأثرها في مسلمي شبه القارة الهندية .**

المحور الرئيسي الذي يندرج تحته البحث : المحور الرابع – الحج والعمرة وأثرهما في المجتمع المكي وسائر شعوب العالم

التوقيع / جلال الحفناوي